حرب العوالم

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥م

اسم العمل:	حرب العوالم
اسم المؤلف:	هربرت جورج ويلز
ترجمة:	أسماء سليمان أبو غوش
التدقيق اللغوي:	ملك محمد جلال
تصميم الغلاف:	محمد دربالة
الإخراج الداخلي:	عمر أسامة
رقم الإيداع:	٢٧٤١٩ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي:	٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-٨٨-٤

مسار للنشر والتوزيع

شارع ونس- قسم يوسف بيك- الزقازيق- الشرقية- مصر

01020439639

massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق الخاصة بالتنسيق الداخلي، وتصميم غلاف هذا الكتاب والترجمة الخاصة بدار مسار، محفوظة، ولا يسمح بإعادة استخدامها دون الحصول على تصريح خطي من الناشر.
ملكية حقوق الطبع والنشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

حرب العوالم

قدوم المريخيين- الأرض في قبضة المريخيين

هربرت جورج ويلز

مَسَارا
للنشر و التوزيع

قدوم المريخيين

الفصل الأول
للحرب عشية

قد آن الأوان لتسقط أوراق القرن التاسع عشر، لتسلّط أضواء العقول البشرية محطّ انتباه هذا العالم؛ فتراقبه عن كُثب كعدسة مجهر تنتظر تكاثر الكائنات الحية داخل قطرة ماء. وما بين العقل والعدسة، ينشغلُ البشر بأمورهم التافهة غير مكترثين لشيءٍ متكئين على عكازة قناعتهم أنَّهم الأقوى بامتلاكهم المادة لهذا الكون. ولربما، تتبعثر تلك الكائنات الحية تحت المجهر عن المنوال نفسه.

لم تفِق غفوة العقول لبرهة، لتوقن حينها أنّ عوالم الفضاء هي الصديق اللدود لتهدد البشر، وأمّا عن العقل الذي اعتقد مجرد فكرة أنّ الحياة هذه قد تكون شبه مستحيلة أو غير واردة للعيش فيها أو عليها ليكون من المضحك المُبكي أن نقلِّب صفحات الماضي لبعض العادات الفكرية التي سيطرتْ على العقود القديمة.

قد هيأ سكان البشر أيديهم لبشرى ترحيبية لسكانٍ يقطنون

بكوكبٍ آخر؛ فهم يظنون أنّه لربما أنّ هناك بشرًا يتنفسون على سطح كوكب المريخ. هكذا أقدم سكان الأرض على التفكير مضيًّا؛ تفكير خيالي خائف من طرح معتقداته عن وجود تلك الكائنات هناك.

تختلسُ عيون سكان الفضاء الحاسدة إلى سكان الأرض ليحيكوا بنسيج مكائدهم خططًا وتدابيرًا ظانّين أنّ بمقدورهم أن يوقعوا ببشر الأرض. حتمًا ولا محالة، ستكون ضّدهم عند بزوغ القرن العشرين.

عزيزي القارئ، كُن نبيهًا لما سأخبرك إيّاه ودعني أُذكرك أنّ كوكب المريخ يدور حول الشمس بمسافة تساوي ١٤٠٠٠٠٠٠٠ ميل، ألكَ أن تتخيل أنّ الضوء والحرارة اللذَين تستقبلهما الشمس المشرقة تلك يساويان نصف ما تستقبله الأرض منهما؟

مقومات الحياة التي على الأرض من ماء وهواء قد وُجدتْ على سطح المريخ أيضًا. لا بُدّ أن يكون المريخ أقدم من كوكبنا؛

لكون أنّ الأرض كادتْ أنْ تتوقف عن الانصهار بزمنٍ طويل، كانتِ المعيشة قد بدأتْ للتو على المريخ. فحجم المريخ يساوي سُبع حجم الأرض الذي قد ساهم في انخفاض درجة حرارته إلى أن وصلتْ إلى درجة حرارة يمكن بدء الحياة عندها، هذا على فرض أنّ الفرضية «السديمية» كانتْ صحيحة.

قد أغشى غرور البشر يطرق أفكار أيّ كاتب كان على وجه الأرض أنْ تُسطّر كلماته لفكرة وجود حياة ذكية في مظهر أكثر تطورًا منها على كوكب الأرض، حتى نهاية القرن التاسع عشر. بالإضافة، لم يتفوّه أحدٌ منذ ذاك الزمان أنّ المريخ يسبق الأرض بالأقدمية فيقتضي عنوةً ألّا يكون هو الأقرب إلى بداية الزمن فحسب، وإنّما الأقرب إلى النهاية أيضًا.

ذا يومٍ من الأيام، لا بُد أن يصيب هذا الكون انخفاضًا بحرارته بمرحلةٍ متقدمةٍ للغاية مع كوكب المريخ. وهنا اللغز المُحير الذي يُذهل العقول، بالرغم من طبيعة الكوكب الفيزيائية لتصل درجة الحرارة في منتصف النهار حتى في

منطقته الاستوائية كيف كان وصول درجة حرارته لأشدّ فصول الشتاء لدينا بردًا.

انقلب السحر على الساحر ليعاني سكان المريخ استنزاف موارده بعد أن كان حسودًا لنعمة ما يقتنيه سكان الأرض. فيستنشق سكان المريخ هواءً غير هوائنا؛ فهو خفيفٌ كفيلٌ بأن تنفد كل محيطاته وتغطي ثلث سطحه فقط وبصورة متكررة أكوام الثلج الضخمة لتنصهر رويدًا رويدًا على قُطبَيه لتغرق بصورة عفوية كل مناطقه. هذا الذي استدعى اتساع نطاق مداركهم وزيادة مستوى قدراتهم، ومع الأسف تحجُّر قلوبهم.

من عجب العجاب، أنّ كلَيّ سكان الأرض والمريخ ينظر إلى الآخر بغبطة. فالأول تعلّق بحبال الأمل بامتلاك معدات وعقول لم يحلموا يومًا بها، على نظير أنّ أهل المريخ ارتأتْ نظراتهم إلى نباتاتنا الخضراء اليانعة، ومياهنا الرمادية، وغلاف جوي تكتسيه الخصوبة، وعبر كل تلك السحب العابرة أبهرتهم الامتدادت الشاسعة لبلاد تكتظ بها السكان وبحارًا ازدحمتْ

بها السفن، أبهرتْ عيونهم التي ارتأت لبعد ٣٥٠٠٠٠٠٠ ميل. ولم تكن القناعة لديهم كنز لتفنى سريعًا.

تتشابه أنسجة العقول بتفكيرها سواء كانتْ مريخية أم أرضية؛ فقد نظر المريخ إلى سكان الأرض على أنهم كائنات تسكن هذه المجرة- مثلما نظرنا نحن إلى القردة والليمور- بإقرار من الجانب العقلي البشري، إنّ هذه الحياة صراع أبدي من أجل البقاء ولربما كانتْ للأقوى، وعلى النحو نفسه فكر سكان المريخ.

عالم المريخ مفعم بالبرودة على غرار أرضنا الدافئة رغم اكتظاظه بالحيوانات الأدنى رتبة. والواقع المرير الذي تشهده الأجيال تلو جيلها، أنّ هناك حرب ستشنّ قريبًا نحو الشمس سيكون إشعاعها حصنٌ لديهم من أيّ دمارٍ قادم.

لا تقسو بالحكم عليهم؛ فمن حقهم علينا أن نتذكر الدمار الشامل الذي سببته أجناسنا ليس فقط بالحيوانات- مثل ثيران البيسون وطيور الدودو المندثرة- بل الأجناس الأدنى منّا رتبة.

فقد شنّ الأوروبيون حرب إبادة، على مدار خمسون عامًا، ليكون السؤال المهم والأهم: هل من البشر رُسل رحمة لنُظهِر تذمُّرنا إذا ما شنّ أهل المريخ علينا حربًا للغاية نفسها؟ حرب قائمة بأسلحة لم تجهز بعد!

على ما يبدو أنّ سكان المريخ أكثر منّا ذكاءً وتفوّقًا في علم الرياضيات لتكون حساباتهم في غاية الدقة لغزو سكان الأرض. قد شاهد أمثال الفلكي (سكيابارياللي) الكوكب الأحمر- كم هو غريب أن يبقى كوكب المريخ على مدار كل تلك القرون رمزًا قائمًا للحرب!- لكن مع الأسف تم إخفاق تفسير الظهور والاختفاء المتتالي للعلامات التي خططها المريخيون بإتقان مذهل ومبالغ فيه. لا بُد أنّهم كانوا يعدون العدة طوال ذلك الوقت.

كانتِ المفاجأة الكبرى في عام ١٨٩٤ عندما لامستْ أيدي كوكب المريخ الأرض، حين التقطتْ أذان البريطانين خبر قدوم أهل المريخ بضوئهم المتوهج في حفرة غائرة؛ فكان الأمر عصي

الدمع ليفهموا ذاك الانفجار المتتالي من المريخ نحو الأرض.

توالتِ الأيام بدواليب سنواتها، لتغزو عاصفة بهبوب أفكارها بعد ست سنوات عبرت من هذا التاريخ. فتسارعتِ الأخبار لتكون هي الخبر العاجل فتذيع نشرة انبعاث الغاز المتوهج على سطح الكوكب حاملًا معه ذرات الهيدروجين لتهرول سريعًا علينا في منتصف الليل الثاني عشر من الشهر؛ كان ذلك الانبعاث كخروج قذيفة من مدفع، وما أصعبه من مشهد!

يعود الفضل إلى عالم الفلك الشهير (أوجيلفي)، حين التقيتُ معه فأخبرني عن استيائه حول تلك الأنباء التي تهدد الجنس البشري، فقام بدعوتي إلى جولة معه تلك الليلة لنلقي سويًا نظرة عن قرب على الكوكب الأحمر.

انتظر برهة أيّها القارئ لأخبرك عن تلك الليلة، ليلة الانفجار التي لن أنساها رغم كل ما حدث، منذ ذلك الحين وإلى هذه البرهة ما زلتُ أقبض ذكريات تلك الليلة على كف

خوفي؛ المرصّد المعتم الهادئ، والمصباح الذي يسكبُ ضوءًا خافتًا على الأرض في الزاوية، والدقات المنتظمة لآلة ضبط التلسكوب، والشقّ الصغير في السقف.. يا له من شقّ عميق مستطيل حيث استطاع تخلله الغبار النجمي!

تحرك (أوجيفلي) في نفس المكان، لم أكن أراه ولكنني سمعتُ صوته. عندما نظرتُ من التليسكوب، رأيتُ دائرة مزرَقة تحوم في عالم الفضاء. كان جسمًا صغيرًا بحجمه، شديد السطوع والسكون، تظهرُ عليه خطوط عرضية باهتة، ومستويًا قليلًا من المنتصف. لكن، بقدر ما كان صغيرًا كرضيع كان برَّاقًا متوهجًا كبركانٍ وديع. كان يبدو أنّه يرتجف، ولكنني أيقنتُ أنّ التليسكوب هو من يهتز بسبب تلك الحركة التي افتعلَتْها آلة الضبط التي أفسحتِ المجال للكوكب أن يكون محضّ الرؤية.

كنتُ أراقب بشدة بالغة كيف يكبرُ ذاك الكوكب ويصغر، يتمدد ويرتخي، فلم تُخنِّي عيناي فكانتا كطالبتَين مجتهدتَين. من بعد أربعين مليون ميل، أكثر من أربعين مليون ميل من الفراغ،

قليلون من البشر من يدركون ضخامة الفراغ هذا الذي يسبح فيع غبار العالم المادي.

وعلى ما أذكر بين ضجيج الأصوات، لاحظتُ بالقرب منه ثلاث نقاط خافتة من ضوئها؛ ثلاث نجمات ضئيلة على مسافة واسعة، ألكَ أن تتخيل كيف يبدو هذا الظلام في ليلة باردة تزينها أضواء النجوم؟ كانتِ الرؤية أعمق من التليسكوب.

ها هو «الشيء» يظهر ويلوّح بيديه نحوي. إنّه الشيء الذي كانوا يرسلونه لنا؛ مع الأسف هو الشيء الذي سيكون سبب نزاع وصراع البشر فيما بعد. ها قد بدأ يبعد ويصغر فلم تعد بمقدرتي رؤيته أكثر، لكنه كان يطير نحوي بسرعة هائلة وثابتة عبر تلك المسافة البعيدة، ليقترب كل دقيقة عدة آلاف الأميال. لم يكن بحسبان عقلي أن يتخيله على نحو هذه الصورة قط، بل لم يكن لعقلٍ على وجه الأرض أن يتخيل تلك القذيفة التي تصب في وجهتها نحو الطريق الصحيح.

صدقني قد رأيتُه بنفسي في تلك الليلة، فقد انبعث الغاز مرة

أخرى من ذاك الكوكب البعيد. أخبرتُ صديقي (أوجيلفي) أن يتناوب مكاني في المراقبة؛ فكانتْ ليلة حارة وكنتُ أشعر بالظمأ. أخذتني أقدامي لأمشي قليلًا مستشعرًا طريقي في الظلام نحو تلك الطاولة الصغيرة لتستقر عليها عبق أفكاري، فانتفضتُ حين صاح لي (أوجيلفي) حين رأى خيط الغاز القادم نحونا.

ليلة حالكة لم ينسَها التاريخ، ها وقد انطلقتْ قذيفة أولى غير مرئية مجددًا في طريقها نحونا من المريخ نحو الأرض، لم تكن مستعدة لاستقبال الانبعاثات بعد. ولم يغِب عن مخيلتي كيف جلستُ أمام مائدة الطعام متمنيًا لو أنّني ملكتُ عود ثقاب لأشعل سيجارتي وأطفئ الشك الثائر في الوميض الدقيق.

بينما كان من مئات سكان (أوترشو، وتشيرتسي) يخمدون على وسادتهم وغارقون في أحلامهم، مطمئنين أنّ العالم في سلام. تجولتُ أنا و(أوجيلفي) نحو منزله من بعد أن أطفأنا المصباح لنشعل ضوء أفكارنا أكثر في تمام الساعة الواحدة؛

ليستمر في المراقبة.

كان لدى (أوجيلفي) ظنون حول وضع المريخ في تلك الليلة، وسخرية ما إذ كان فعلًا يقطنه سكانٌ ويراقبوننا أيضًا. لربما لم يكن ذاك الوميض المبهج بكائن مريخي؛ فلماذا لا يكون «نيزكًا» ساقطًا على الأرض أو أنّ بركانًا انفجر حينذاك؟

أخبرني مجددًا عدم ورود فكرة أن يكون التقدم العضوي قد هيمن ليأخذ المسار نفسه على سطح كوكبَين متجاورَين.

وأخيرًا، شعرتِ الصحف بحقيقة الأمر، وخطورة المرّ، والأمرّ عن البراكين التي تثور على كوكب المريخ. فازدحمتِ المقالات للكتابة عن نفس الموضوع، حتى المجلة «بانش» التي شهر محتواها الهزلي والكوميدي، استغلتْ موضوع هذا الحدث في رسوماتها الكرتونية السياسية.

أيها البشر، ألم تفيقوا بعد بالاهتمام بشؤونكم التافهة؟ فاستحال لي التصديق أنّهم ما يزالون في انشغالهم في أمور أخرى أقل أهمية. يا إلهي، ما زلتُ أذكر كيف كان (ماركام)

سعيدًا لحصوله على أول صورة «فوتغرافية» جديدة للكوكب في سبيل المجلة المصورة التي كان يترأسها!

في أغلب الأحيان، لا ينتبه البشر في عصرنا اليوم عن مدى جُرأة ووفرة المجلات في القرن التاسع عشر في إعلانها عن مواضيع تخاف العيون إدراكها.

ولأجزم صدقي، قد كنتُ منشغلًا كباقي البشر في أموري التي أُسميها تافهة كركوب الدراجة، وبمجموعة من الأبحاث التي تناقش التطورات الأخلاقية المحتملة المتعلقة بالحضارة.

كدتُ أغيب عن حياتي وأسرتي تمامًا بانشغالي في ذاك الكوكب الذي أصبح جلّ تفكيري بمراقبته هو وحده. قررتُ الخروج من ذاك الإطار، لأصطحب زوجتي لنزهة على الأقدام. أفرغتُ كل ما في جعبتي لأجد من يسمعني؛ حدّثتُها عن عالم الفلك والنجوم، أخبرتُها بنهم عن التليسكوب الذي رافقني لأصطاد سر ذاك الوميض. كأن حديثي معها عن سرّ النجوم اللامعة؛ فأخذتْ تشيرُ بإصبعها نحو الأضواء اللامعة

في السماء: نجوم صفراء، حمراء وصفراء، بينما كانتْ فرقة من المتنزهين خلفنا من (تشيرتسي) و(ايلزويرث) يعزفون من خلفنا. كانتْ ليلة مليئة بالأمان والهدوء.

الفصل الثاني
تساقط النجم

ها قد هلّت ليلة الانفجار الأولى. لقد استيقظتْ مئات العيون لتشاهد انبعاث النجم الساقط، وها قد ظنّتِ العيون أنّه نجمًا بسيطًا كباقي النجوم. قد وصفه البعض أنّه ترك أثرًا خلفه باللون الأخضر لبضع ثوانٍ على غرار ما قد ظنّه البعض، حجرًا «نيزكيًا» بلغ ارتفاعه حين ظهر للمرة الأولى على بعد تسعين أو مئة ميل.

على ما يبدو أنّ عيوني لم تعد ترى كما يتوجب عليها؛ ففي مثل هذه الساعة كنتُ أرقد بالمنزل وأكتب داخل مكتبي، كان المنظر هادئًا ليروق لي رؤية السماء ليلًا، لكن عيوني خذلتني. هذا الجسم الكبير الخارجي الأكثر دهشةً قد سقط أثناء جلوسي ها هنا ويا له من حظٍ!

كنتُ سأراه لو رفعتُ بصري أثناء مروره من أمامي. قد شاهده معظم الناس، فقد كان يصدر- على حسب - قولهم أنّه كان يصدر أصواتًا كالهسيس. عن أيّ أصواتٍ يتحدثون؟

فآذاني لم تسمع أيضًا. وفي أغلب الأحيان، هذا المجسم الذي تحدث عنه الجميع كان حجرًا «نيزكيًا» كما خمنتُ مسبقًا.

أسدل الصباح ستارته، فكان «أوجيفلي» المسكين ينتظر أن يتحقق تخمينه كما كان يظن، فها هو على حد قوله شاهد الحجر «النيزكي» واقتنع بوجوده، بل وجده في مكان لا يبعد كثيرًا عن حُفر الرمال.

لقد أحدث هذا الانفجار ضجة في الحي، تبعثرًا في الحجارة، تغيرًا في معالم سطح الأرض؛ فتناثرتْ ذرات الرمال في زوايا البلاد ممّا أحدث هلعًا بين سكان الأرض. كان لهذا النجم الساقط أثرًا هائلًا في سقوط نبضات قلوب البشر.

من دهشة المشهد، بقى (أوجيفلي) مذهولًا لا يكاد ينطق حرفًا. فكل ما في وسعه أن يبقى واقفًا عند شفا الحفة التي أحدثها ذاك الحجر «النيزكيَ». كان شديد السخونة مستديرًا كالأسطوانة.

كان الصباح هادئًا مثيرًا للشفقة؛ فالشمس كانتْ دافئة

على غير عادتها، والأصوات وحيدة لتهمس في آذان كل من يسمعها؛ فالنسيم كان يختلس الحركة. لقد كان الحجر «النيزكي» خبيثًا ليخفي نفسه وراء اللون الرمادي ممّا جعله يتحرك فجأة؛ فانفصلتْ قطعة كبيرة دون سابق إنذار ليدب الرعب في قلبه.

كان لذلك كله لأن يدرك (أوجيفلي) أنّ الغطاء المستدير يتحرك ببطء شديد لدرجة أن لم ينتبه إليها أحد. اقترب (أوجيفلي) من الحجر أكثر فأكثر ليرتقب علامة سوداء كانتْ بقربه منذ خمس دقائق، لتتحرك على الجانب الآخر من محيط الدائرة.

من المضحك المبكي حين قال (أوجيفلي): «يا إلهي! يوجد رجل يقطن بداخل هذا الحجر، بل مجموعة رجال! فأجسامهم مشوية لحد الموت، وهم يحاولون الهرب!»، بقفزة ذهنية مسرعة، ربط (أوجيفلي) بين مسمى «الشيء» وبين الوميض.

كان الأمر مؤلمًا لوصف سخونة الحجر الذي أحرق يد (أوجيفلي) حين لامس ذلك الحجر؛ فهذه ضريبة الفضول التي

ما زالتْ تلاحقه. فحين تقابل مع السائق ذات مرة، أراد أن يأخذ شهادة من أهل المنطقة، فكان منهم السائق الذي اكتفى بالسكوت لهذيان عقله الذي اختار أن لا يصف ما رآه.

لم ييأس تحقيق (أوجيفلي) لمعرفة المزيد من آراء الناس؛ ليدوِّن المشهد من كل الزوايا؛ فقد أخذ بشهادة عامل الحانة الذي كان شاهدًا على ما قد حدث، ولكن العامل ظنّه رجلًا مجنونًا فقرر حبسه داخل الحانة فباءتْ محاولته بالفشل.

لقد تكرر الأمر، ليتقابل (أوجيفلي) مع الصحفي في حديقته متحدثًا معه وكأنّه يعرفه منذ سنوات عدة:

- ألم تشاهد تساقط النجم ليلة الأمس على كوكبنا؟

- أجل، قد شاهدته.

- انظر الآن إنّه فوقي يا رجل.

- يا إلهي! إنه لأمر رائع أن أشاهد حجر نيزكي يتساقط.

- لكنه ليس كما تظن، إنه ليس بحجر عادي، بل يبدو

كأسطوانة يا رجل!

- ماذا تقول؟

أخبره «أوجيفلي» بتفاصيل هذا الحجر؛ ممّا جعل الصحفي أصم أبكم لا يكاد يُدرك ما سمعه للتوّ. رافقه الصحفي كي يرى الحجر بأمّ عينيه، تلامسا المعدن من خارجه، وسمعا طرقًا كأنه ثمة ضيف يطرق نحوهما.

لا يوجد شك بالطبع أنّ كلاهما عاجزٌ عن فعل أي شيء. قاما بالصراخ ورفع صوتيهما لعل هناك من يسمع، ركضا نحو السكة الحديدية ليتسابقان من سينقل النبأ أولًا! جرى الصحفي سريعًا ليتداول الخبر ونقلُه إلى صحيفته في لندن.

منذ ذلك الحين، هرعتِ المقالات الصحفية للكتابة عن نفس الموضوع، بينما كان كل سكان الحيّ يرتقبون قدوم الأموات من كوكب المريخ، وذلك طبعًا الذي حملته الراوية على حد قول (أوجيفلي)؛ حيث هرع لشراء صحيفة «أوترشو» نحو حفر الرمال بالمكان الذي تواجد به سقوط النجم.

الفصل الثالث

على ضفاف مرعى "هورسيل".

أيّها القارئ الأسطوري، لم يكن اليوم عاديًا؛ فقد استيقظتُ على تجمع حشدٍ من عشرين شخص. كل العيون تتجه لرؤية مكان النجم الذي سقط بالأمس. والغريب بالأمر، أنّ (أوجيفلي) لم يكن من ضمن الحشد ولا الصحفي أيضًا؛ فقد كانا يتناولان الإفطار سويًّا في منزل الصحفي.

كانتِ النيران المتفجرة في جوف الأرض، العشب الأخضر صار رمادًا محروقًا، والحصى الصغيرة تفتَتْ إلى أشكال يصعب وصفها. كان لنزول النجم أثرًا في قلوب سكان المنطقة. توقفتُ عند مشهد الصبية الأربعة الذين تدلتْ أرجلهم داخل الحفرة «النيزكية» ويلهون بها.

حملتُ زمام أفكاري وانهلتُ عليهم بالصراخ للتوقُّف عن صنع ما يفعلون؛ فأنبني ضميري فاقترحتُ عليهم فكرة الانضمام إلى حشد المتفرجين.

كان الحشد يجمع كل فئات المجتمع؛ ما زلتُ أذكر الشاب

الراكب على الدراجة الهوائية، والبستاني، والفتاة التي تحمل على ذراعَيها رضيعًا، واللَّحام جريح يصطحبه ابنه الصغير، واثنان أو ثلاثة من المتسكعين، وعدد من لاعبي الجولف.

كان الحديث في تلك اللحظة قليلًا؛ فالصورة وحدها تنطق لأنّ القلة من الناس في انجلترا على دراية بعلم الفلك؛ فلم يكن الأمر سهلًا لتفادي هذا المشهد. كانتِ العيون مشغولة برؤية هذا الجسم المتحرك الذي فجَّر هذه البقعة الأرضية.

تناوب الناس على الذهاب والإياب إلى هذا المكان إلّا أنا؛ بقيتُ ماكثًا في مكاني إلى أنْ قررتُ النزول إلى جوف الحفرة. أجل، وقد فعلتها حقًا. نزلتُ ببطء حيث دفعتني حرارة الأرض لألمس هذا النجم الذي أثار فضولي.

داعبتُ قشرة الحجر الصامت فانتفض فجأة ليعلُن أنّه ما زال يتحرك. شعرتُ بالأسى على هذا الكائن المحجوز بالحفرة، فتقدمتُ لفتح أسطوانتها. فلُحسن الحظ كان الإشعاع خافت التوهج. وقف النجم الساقط مترددًا قليلًا، ثم استدار وتسلّق

الحفرة سريعًا وانطلق سريعًا يركض كمجنون.

أيعقل ذلك؟ بالأمس كان نجمًا ساقطًا بعد أن رأيناه بالتليسكوب حجرًا «نيزكيًا»، واليوم ها هو كائن يتحرك ويقفز! فما الذي يجري؟ أيقنتُ حينها فعلًا أنّهم هم القادمون من الفضاء على عكس ما كان يظن (أوجيفلي).

كان الجسم غريبًا جدًا كعربة مقلوبة، أو شجرة اقتلعتها الريح على الطريق، بل كعوامة شاردة. لقد تطلب هنا أن يتدخل العلم ليثبت أنّ هذا مجرد جسم اكتسى باللون الرمادي. قد بدا تمامًا أنّه قادم من الفضاء إلينا، وبدا أكثر أنّ الأمور باتتْ أكثر تعقيدًا، لكنّي استبعدتُ كلّ البعد أن تكون به كائنات حية. فعلى عكس «أوجيفلي» ما زلتُ اتشبث بفكرة وجود بشر على المريخ.

صارتِ الأمور عندي تزدحم بتلاطم الأفكار؛ حيث قادتني التخيلات والتهيؤات بكيفية التعامل مع مثل هذا الجسم وأمور اللغة والتواصل بينها. وكل حدث صغير بات يكبر في أعين

الصحافة.

لقد أفزعتِ الطبعات الأولى من صحيفة «لنجن» أهل المنطقة بعناوينها العريضة:

رسالة من المريخ

ووكينج تروي قصة عجيبة

كانتْ هذه الصحيفة تنقل تمامًا مجريات ما تم تداوله من الحشد وما تم فعله في الحفرة «النيزكية»؛ التي صارتْ مشبوهة بين أن تكون نجمًا ساقطًا أو كائنًا من الفضاء أتى ساخطًا على كوكب الأرض.

الفصل الرابع
انشقاق الأسطوانة

رجعتُ إلى المرعى والشمس أسدلتْ ستارها للغروب. كان عدد الحشد يزداد شيئًا فشيئًا، فاليوم بدا عددهم تقريبًا مئتَي شخص. كانتْ ظلالهم تغطي كسحب السماء، وبدتْ أصواتهم تعلو كمنبه ضجّ بالصراخ. حدث شجارٌ بينهم ليأتي صوت أقوى من (ستينت) ليقول «تراجعوا! تراجعوا خلفًا.. أسرعوا!!».

قال لي (ستينت) حين مرّ بجواري: «أريد أنْ أعود إلى منزلي؛ فلم يعد الأمر يعجبني، وعلى ما يبدو أنّ الجسم صار يتحرك طريح الفراش.. سأعود إلى منزلي».

صار الحشد يتحرك قليلًا مع ظهور علامات الصدمة على وجوههم؛ فشققتُ طريقي بينهم. أعدادهم تتزايد نحو ثلاثمائة شخص، وكان همّي أنّي أريد الوصول؛ فقاطعتهم وشققتُ طريقهم مجددًا.. حتى النساء أثرن الازدحام أيضًا.

صاح أحدهم: لقد وقع في الحفرة!

قال آخرون: تراجعوا أيها الناس!

كدتُ أنْ أصل وأنا أسمع صوت طنين غريب يخرج من فوهة الحفرة. قال لي (أوجيفلي): «أخرِج الناس الحمقى من هنا؛ فنحن لا نعرف بعد ما مصير هذه الحفرة وماذا يقطن داخل هذا الشيء اللعين!!».

لقد رأيتُ شابًا كان يعمل في أحد المتاجر واقفًا على الأسطوانة، إلى أن دفعه الناس فحاول التسلق إلى خارج الحفرة.

ها هو طرف الأسطوانة بات يتمزق إلى أن ظهر مسمار لولبي الشكل لامع الملمس طوله نحو ٦٠ سنتيمترًا. اندفع أحدهم نحوي عنوة دون سابق إنذار، ولحسن الحظ بشق النفس نجوتُ بأعجوبة من الانزلاق على رأس المسمار العجيب.

ما أصعب كشف المجهول! كل القلوب تدق في هذه اللحظة والعقول مشغولة البال لتعرف ما الذي سيحصل بعد، الكل ينتظر خروج هذا الكائن لمعرفة جنسه ذكرًا كان أو أنثى.

صار الذي أسميته بـ «الشيء» يُحدث طنينًا من خلفي مجددًا،

لم يكن صوته أعلى من طنين قلبي الذي سأدفنه من رهبة الموقف!

كل الناس توقعوا ظهور رجل فضائي أو كائن مريخي باللون الرمادي. ربما! بل حتمًا يختلف عنّا نحن كبشر على كوكب الأرض هذه. حقيقة، لم يختلف شعوري وتفكيري عن الحشد لوهلة. عندما نظرتُ نحو الشيء، رأيته يتحرك في الظلام؛ حركات رمادية لولبية تتموّج واحدة تلو الاخرى، ثم ظهر قرصان مُشِعَّان، يُشبهان العيون.

بعد ذلك، خرج الشيء الشبيه بالثعبان الصغير باللون الرمادي، وكانت سماكته كعصا المشي فشقّ طريقه متعرجًا في الهواء نحوي، ثم تلاه الآخر!

انشقتِ الأسطوانة ليخرج الشيء منها، وأخيرًا! هرب جميع الناس وركضوا إلى مكان لا مكان فيه. الكل يصرخ ويهرول؛ فكان الصراع لمن سيبقى على قيد الحياة. كان هذا الشيء قُربي بحجم الدب؛ أسود العينَين، يسيل اللعاب منه نحوي.

قد لمسني هذا الكائن؛ فشعرتُ أنّ روحي ستُرفع إلى السماء! صرختُ كالناس، تكدستْ عظامي من الخوف. كان لزاجه يعرقل نجاتي. هربتُ بصعوبةٍ من هذه الحفرة، ركضتُ متعثرًا لا أعرف إلى أين أذهب.

لم أقدر على مسح المشهد من مخيلتي. صوته، لونه، شكله؛ كل ذلك جعلني أركض هاربًا إلى غابات «السرو» بين الأشجار. كانتِ الرمال تتفتتُ في تلك اللحظة. ياه! الشاب الذي يعمل بالمتجر يطلب العون ولم أقدر على ذلك. كنتُ أسمع صوته، ولكن رأسه بدأ يختفي رويدًا رويدًا. وعلى ما يبدو، جوع هذا الكائن دفعه لالتهام الشاب. لم يكن كائنًا واحدًا وحسب، بل اثنين.

الفصل الخامس
الشعاع الحراري

بعد النظرة التي راودتني من خروج المريخين، عجزتُ عن فعل أي شيء: عن القيام، التكلم، التفكير، حتى الهروب. فشعور الجزع والخوف يمزقانني.

كانتْ قدمي اليمنى تجرّني نحو تلك الحفرة لإشباع الفضول الذي يحوم داخل عقلي، أما عن قدمي اليسرى كانتْ للمكوث في المنزل وأكمل مسير يومي وكأنّ شيئًا لم يكن.

وما بين القدم اليمنى واليسرى، جرفتني عواطف عقلي لرؤية ما هو قادم. وحقيقةً، قد ذهبتُ إلى الحفرة لأعرف واتحقق المزيد عن الكائن الذي يختبأ بها.

كانتْ حشود الناس مثلي تتجمع هناك، وجميعنا يجهل ما الذي سيحصل! من ربوة قريبة، صعدتُ لاختلاس النظر؛ فشاهدتُ شعاعًا حراريًا له ثلاث أسواط، وكأنه أخطبوط، ويا للأعجوبة التي رأيتها! قد سرق هذا المشهد تفكيري. فركضتُ للاطمئنان على الشاب الذي كان يعمل في المتجر.

ومرةً أخرى، شققتُ طريقي من بين حشود الناس لاصطدم بجاري الذي لا نتبادل الحديث معًا في الحيّ. وأصلًا لا وقت للكلام في أزمة التفكير هنا. وبكلامٍ يبتلعه الصمت تحدثنا بضع كلمات:

- ماذا ترى يا رجل؟ ما هذا الكائن المخيف؟

- أجل، مخيف... لكن.. أريد أن أسألك: هل رأيتَ شابًا عشرينيًا كان بالأمس ها هنا؟ لم أرَ سوى رأسه.

- حقيقةً كلا.. على ما يبدو قد تم ابتلاعه.. أيعقل لهذا الكائن الوحشي أن يدعه بسلام؟

كان كل الناس تلتقط الطمأنينة من بعضهم البعض. وكأنها نهاية العالم! من شروق الشمس إلى غروبها وصولًا إلى غسقها وأنا ما زلتُ أنتظر مصير هذا المجهول.

تنحتْ كل الحشود إلى الوراء لتظهر هياكل ضخمة للكائنات المريخية. وعلى ما يبدو أنّها ذكية، ولكن علينا أنْ نثبتَ نحن البشر أننا أشد دهاءً منهم. أحضر (أوجيفلي) رايات بيضاء ليوزعها

على الناس هنا؛ فلا لغة للتفاهم فيما بيننا سوى لغة الإشارة.

لم تكن الراية البيضاء تعني يومًا الاستسلام أو التراجع نحو قرار مدفون، ولكن كان هناك شيء ما سيحصل. خرجتْ تلك الهياكل الضخمة بعيون مسوّدة غلب سوادها كحل الليل، ثارتْ ونهضتْ غاضبة من نهوضها على أرض لم تكن تملكها.

تثاءبتْ غاضبة لتحرق بنيرانها الأعشاب الخضراء التي تحولتْ بفينة وأخرى إلى رماد مصفر. الكل يصرخ ويهرب، وما بوسعنا سوى الركض. باتتْ هذه الكائنات تلتهمُ البشر واحدًا تلو الآخر، ومن ينجو هو صاحب الحظ الأعظم.

كان الفتى صاحب عربة التفاح على وشك التدحرُج لولا أنّ حركته كانتْ سريعة. فذهبتِ العربة على مهب الريح، بينما بقتْ روح الفتى ترفرف مع الراية البيضاء التي كان يرفعها.

أيّها القارئ، دعني أخبرك عن شعوري. أشعر بالخوف، بل بالذعر، وأريد البكاء كالأطفال لأول مرة. لم أخف من رؤية الكائنات الحية فحسب، بل رهبة السماء واصفرارها، ورؤية

اللهيب هنا وهناك، مع صراخ الحشد؛ جعلتني أركض لتتعثر دموعي فتسقط دون إذن مني.

كان هذا الشعور كفيلًا بأنْ يُعَرّيني من شجاعة الرجال. للحظة استدرتُ فوق التلة واستدرتُ لأراقب المشهد من بعيد، وعلى ما أذكر بأنّ القناعة تكونتْ لديّ بأنّ أحدًا ما يتلاعب بي، بل بنا جميعًا! أهذا هو الموت الغامض الذي سيحلّ على كوكبنا؟ إشعاع حراري سريع كالضوء هو الذي ينوي القضاء علينا، أم ما الأمر بالتحديد؟ هذا كل ما يشغل تفكيري.

الفصل السادس

الشعاع الحراري في طريقه إلى "تشوبهام"

حرارة وضوء لا يُرى، جسم مصقول كمرآة، كائنات مبعوثة لتحقيق موت غامض: هذا ما يحيرني! كيف لتلك الكائنات المريخية قتل البشر بهذه السهولة؟ أهذا هو غزو المريخين المنبئ به سابقًا؟ لكن لم يثبتْ أحدٌ على الإطلاق حقيقة الأمر لمعرفة تركيب هذه الكائنات المشعة حراريًا!

على غرار تلك الليلة، احتشد أربعون شخصًا محروقين ومشوهين بجوار تلك الحفرة. ويا لإرادة الكائن البشري ويا للعنة الفضول! عجز «الفيلم» عن وصف وجوههم؛ فكلهم متكئين أسفل النجوم على أمل أنّ علاج حريقهم سيكون بداخل هذه الحفرة.

الذي يحصل الآن ليستْ رواية خيالية؛ بل مذبحة بشرية لتتداولها أقلام الصحف وتبادر بالكتابة عنها. ومَن أَهَمّ بالكتابة عنهم هذه الفترة؟ كل ما في وسع سكان المدينة هو الانتظار، لربما انتظار الموت، وهو أسهل الاختيارات.

فكّر الجميع لإيجاد طريقة ليعُمَ السلام في أرجاء المنطقة. كان الحل الوحيد والأجدر صوابًا هو عمل مفاوضات ما بين الكائنات المريخية والبشرية؛ لأجل السلام بينهما. وهكذا بدأ الغزو حينها.

صمتٌ هائل بين سكان الحيَ، ذعر مرتقب يواليه احتضار، ثرثرة بلا كلام كانت تتهافتْ بين شفاه الشُبان. جاءتِ الشرطة وهي تمتطي الجواد لتُفرق الناس عن بعضهم البعض. فالمريخيون باتوا يشعرون وكأنّ الحفرة باتتْ لهم مزاح ثقيل؛ فالنية القادمة هو البحث عن مكان آخر للرقود فيه.

القلوب ترتجف، والعيون وحدها تحكم بالمشاهدة دون استطاعة وصف ما يروه. كان الشرطي الباسل الحاصل على أوسمة الشجاعة يعتريه الرعب. ها هو يرفع يديه معلنًا الهزيمة ببطء. ولكن، يأتي الشرطي الآخر محاولًا تفريغ المنطقة من الناس؛ فلا وقت للمكوث والموت الآجل قادم لا محالة.

ظهر المريخيون بشعاعهم الحراري مرة أخرى، حارقين

الأخضر بنيرانهم، منتقمين من حضارة البشر، معلنين أنّ لعنة المريخ هي الأمر الناهي في هذا المكان. ويتكرر المشهد بالهروب، وحتى أنّ «أوجيفلي» صار يركض كطفلٍ يبحث عن دميته.

تزاحم الناس واكتظتِ السماء بنجومها البائسة، لتتعرقل سيدتان وطفلة وتقعن أسيرات في قبضة المريخين. وما عسى البشر القيام به سوى تدوين الكرب وهول المشهد ليتداوله الأجيال فيما بعد! أمّا عن الهدنة والمفاوضات، لم تُجدي نفعًا بعد. هل المريخيون يا ترى هم أدهى وأمَرّ من البشر؟

الفصل السابع
رجوعي إلى المنزل

حللتُ ربطة عنقي، رميتُ ساعتي جانبًا، ركضتُ إلى المغسلة لأنفض وجهي مما رأى. هززتُ كتفي بنفسي: هل يا ترى ما رأيته حقيقة أم نسج من الخيال؟ هل كان كابوس يراودني عن قدوم المريخيون إلينا؟ وهل ذاك الشعاع الحراري والهياكل الضخمة كانتْ مجرد وهم؟ ما الحقيقة والخيال؟ كل الأشياء تبدو لي خيالية سوى الموت، وعظَمة الموت، وظلمة الليل، والفضاء والطبيعة فحسب. أما باقي الأشياء لا أستطيع التأكد منها.

لم أستطع الهروب من تلك الأصوات الصائحة، من مشهد التهام النساء والفتيان ورفع الرايات البيضاء آنذاك. جلستُ على أريكتي ويغرقني ذلك التفكير للتخلص من العدو، المريخيين. كيف لهم أن يغزو كوكبنا البريء المفعم بالسلام؟

كل ما أذكره صرخات البشر وتعثراتي بالركض نحو أشجار «السرو». كان لا بد لي من المشي في الأسواق لأسال الناس: هل

يا ترى ما أنا أراه حقيقةً أم خيال؟ هل سمع أهل المدينة بقدوم المريخيين وقرأوا ما تتداوله الصحف؟

رأيتُ امرأتين تشتريان الخضراوات والفواكه:

- هل سمعتما بقدوم المريخيين؟

- خبر أحمق.. ومن يصدقه أحمق أيضًا.

ركضتُ نحو تلك العائلة:

- كيف حالك يا رجل؟ هل رأيتَ تلك الحفرة في المرعى؟

- ما بالها؟

- المريخيون..

- المريخيون.. ها! أجل.. أتصدق ذلك يا رجل؟

- أجل.. فهناك هدنة بيننا وبينهم.

- ماذا تقول؟ وعن أي هدنة تتحدث؟ مجرد أقوال صحف ولا تبالي بها.

- ستسمع المزيد.

ما زلتُ أسمع تمتمتهم وضحكاتهم عني. ما بالهم يسخرون بما رأيتُ؟ كيف لو حدثتُهم بهول المشهد ووصفته بدقة؟ ما عساهم يفعلون؟ شعرتُ حينها بالجنون والضياع. أين أنا أسير؟

هل أنا الوحيد الذي يعاني من استثنائية المزاج؟ أم أنّ الخيال يُسيطر على أجواف عقلي؟

من بعد أيام ثكلى، أتناول العشاء مع زوجتي. كان العشاء باردًا ينتظر قدومي. أردتُ في تلك الليلة أن أشرب النبيذ كي أنسى ما رأيته. لربما تكون زوجتي هي الوحيدة التي تفهمني:

- ما بالك يا زوجي العزيز؟

- قدوم المريخيين.. إنهم غزاة.. أجسامهم ضخمة.. سيأتون إلينا لا محالة فهم يمشون ببطء.. أجل، سيصلون إلى هنا عمّا قريب بعد رجوعهم من المرعى.

– زوجي العزيز، لا تبالي.. أكمِل عشاءك.

– أووه.. المسكين أوجيفلي! لربما سيكون ميتًا لا محالة.. هل هو على قيد الحياة؟

– تناول طعامك واهدأ.. أشعر أنّه بخير؛ فالصحف لم تنشر أنباء حول ذلك.

– هل تصدقيني أم أنّكِ تجاريننني؟

– أنا مؤمنة بأقوالك؛ فأنت إنسان عالم، باحث في علم الفلك.

– إن المريخيين يا زوجتي حمقى.. قد نسوا أنّ الأرض تزن جاذبيتها ثلاثة أضعاف جاذبية المريخ؛ فستبدو أجسامهم ثقيلة ها هنا.. ولكن ربما تساعدهم القوى العضلية ويخذلهم الذكاء الميكانيكي.

– أووه.. زوجي العزيز الذكي! كيف لم يخطر على بالك من قبل؟

- أنّهم أغبياء؟

- أجل، أغبياء.. فقد فاتهم هذا الأمر.

قد كذبني سكان منطقتي عمّا رأيته، ولكن شعرت بالاطمئنان بالحديث مع زوجتي. هي تشعر بالخوف مني؛ لذلك شربتْ النبيذ. تأسفتُ بداخلي لأنني أثرتُ الرعب بداخلها، لكن يتوجب عليّ تهيئتها بقدوم الغزاة. وما يشغل فكري الآن هو (أوجيفلي).

الفصل الثامن
ليلة الجمعة

هذه الليلة الهادئة التي عمّها السكون الغريب. بدأتِ الحياة بأن تكون على ما يرام. فأهل المدينة يكملون مسير حياتهم بالذهاب إلى العمل، الطلبة إلى مدارسهم، الفلاحين بين حقولهم، إلا أنا ومجموعة الحشد الذين يتجمعون في تلك الحفرة التي يسكنها المريخيون.

اختلستْ أقدامي الخروج من المنزل لأطمئن على الأحداث التي تجري الآن. وما إن وصلتُ إلى أنْ سمعتُ صراخ النساء: «إنّ المريخيين يكيدون مُصيبة أخرى للبشر». قد هرعتِ الشرطة لإحاطة الحفرة وإنذار الناس بعدم القدوم مرة أخرى ولكن المريخيون يشعرون بالجوع الالتهام الأجساد البشرية.

قد حمل أهل المدينة ومعهم الشرطة حاملين الراية البيضاء، ومتأملين أن ينعموا بالسلام والاستقرار الذاتي. صرتُ أقترب أكثر فأكثر من أعلى تلك الربوة التي اعتدتُ الوقوف فوقها. يا إلهي، ها هو الشرطي قد مات! اللعنة! قد التهمه ذاك الكائن

المريخي. ماذا؟ الرائد أيضًا المسؤول عن حظر التجول لم يحالفه الحظ؛ فقد مات أيضًا!

أصبح البشر وليمة سهلة في متناول أيادي المريخيين. ما أضعف هذا الإنسان بعقله وقلبه! وما كان يحزنني أنّ لندن لم تُصدق أنباء ذلك الصحفي الذي رافق (أوجيفلي). فقد نعتتْ تلك الأنباء بالإشاعات، وامتنعتْ عن استهداف المنطقة والتحقيق بما يجري. قد بدأتْ أصوات المريخيين تتحرك دون خوف من البشر وكأنّ الأرض أرضهم.

يا إلهي! قد اتخذ المريخيون هذه الحفرة مقرًّا لهم. بدأوا ببناء آليات عسكرية ضخمة لغزو البشر. هل سنصبح عبيدًا لهم؟ هل سيسرقون العلوم والأبحاث وكل مدخراتنا؟ أخشى أن يتحقق ما يجول في بالي؛ يصبح هذا الكائن المريخي مجهول الهوية هو من يحكمنا على هذه الأرض.

لو أحضرت «فرجارا» لقياس هذه الحفرة لنطقتْ بأقطارها عن مدى انتمائها لسكان الأرض؛ فكيف لهم يغزون هذه البقعة

البريئة؟ بدايةً، سيجهزون آليات عسكرية لهم وتصبح ثكنة لهم، وعلى ما أظنّ أنّ القادم أسوأ!

بدأتْ أسوار هذه المنطقة تتبدل بشمسها وضحاها. أصبحتِ الأزهار تذبل قبل أوانها. ففي هذه البقعة، لا صوت لأطفال يلعبون، ونساء تدق الطحين، أو رجال يمتطون الحمير لحراثة الأرض. فكل ما يغزو هذا المرعى: المريخيون فحسب. يا إلهي! ما ذلك النور القادم إلى هنا؟ وما هذا الإشعاع الحراري الآخر الذي يهبط الآن؟ وما هذه الأضواء التي حجبتْ رؤيتي؟ كانتْ تلك الأسطوانة المريخية الثانية. وعلى ما يبدو، أنّ المريخيين قادمون بالتقسيط لينعموا على كوكب الأرض؛ فحتمًا هم يخبرون بعضهم البعض وثمة اتصال فيما بينهم.

الفصل التاسع
بداية المعركة

مرّ طيفٌ يوم السبت حاملًا وإيّاه أكوامًا من الكسل على غرار حرارة الجو المضطرب. لم أكن أريد النهوض مبكرًا قبل تناول وجبة الإفطار. ولكن، حيرة التفكير بتلك الكائنات الحيّة سرقتْ منّي حُلّة النوم بأكملها، رغم أنّ زوجتي غرقتْ بالنوم. خرجتُ إلى حديقتي لأتنفس هواء يُنسيني ما قد رأيته تلك الأيام. أريد أن أُرهف السمع لعلّ زقزقة العصافير تُهدِّئ من روعي قليلًا، ولكنّي لم أسمع سوى حركة طائر القُبرة الذي أتى متجهًا صوب المرعى.

قد سمعتُ قرقعة العربة التي يقتادها بائع الحليب. حدثتُه قليلًا أثناء تجواله ما إذ أمكنت رؤيته عن جديدٍ بخصوص حفرة المريخيين. أجابني: «الأرض ساخنة وتربتها تحترق إلى الآن. اللعنة على سكان المريخ! سيدمرون أرضنا بالتأكيد وبكل سهولة». حين أخبرني ذلك، تيقنتُ أنّ ما كنتُ أراه فعلًا حقيقة. أكملتُ المسير في حديقتي لأرى جاري الذي تفصلني

بينه السياج. تجرأتُ بالحديث معه رغم أننا لا نتكلم كثيرًا في أغلب الأحيان.

مدّ جاري يده من السياج مناولًا لي حبات من الفراولة. لم أعرف كيف أفتح معه الحديث عن المريخيين، وما أسعدني أنّه هو الذي بدأ الحوار حول هذا الموضوع:

- كيف حالك يا جاري؟

- على ما يرام.. وأنت؟

- ههه.. عن أي حال تتحدث؟ أتعلم أنّ أمر المريخيين غريب يا جاري؟ لماذا الكل يفكر التخلص منهم والنظر إليهم على أنّهم كائنات شريرة؟ لماذا لا نحاصرهم أو نأسرهم مثلًا لنتعلم منهم؟!

- نتعلم منهم! وكيف ذلك؟

- نتبادل الخبرات.. لا أدري.. فالخبراء هم أهل الثقة في ذلك الأمر وهم أدرى منّي ومنك...

رنتْ ضحكة جاري قلقًا أثار فزعي حول مصير (أوجيفلي). قد أخبرني جاري على حد وصفه بأنّ هناك رجل قد ابتلعته الكائنات المريخية، وكان تمامًا مثل وصفه. ركضتُ مسرعًا دون تفكير للذهاب إلى المرعى والتفكير أكثر بأمر (أوجيفلي) أولًا ثم المريخيين. لم يكن الأمر سهلًا. فـ بليلةٍ وضحاها توّقَتْ قوات الجيش حفرة المريخيين وأعلنتْ حالة التأهب، ولعلّ الحرب ستبدأ.

لم يكونوا جنودًا عاديين فحسب؛ بل مهندسين وخبراء. كانتِ اللافتات تشير أنّه ممنوعٌ من أحدٍ التقدم نحو حفرة المريخيين. رغم استعداداتهم القوية وتجهيزاتهم المُتقنة، إلّا أنّ الخوف يتلو تراتيله في قلوبهم. وهذه المرة نزعتُ ثوب الخوف لأتقدم نحو الجنود، ولأخبرهم أنّني على مقدرة على التعامل مع مثل هذه الكائنات؛ فقد رأيتهم عن كثب. فرحوا لمعرفة ذلك، وبدأوا بالتحقيقات معي حول طبيعة هذه الكائنات. وكأنهم يريدون خطة مني لكيفية غزو المريخيين وأخبرهم بفطنة

حول الشعاع الحراري. قد دار بينهم نقاش بسيط بتعقيداته، وازدادتْ المعادلة لتعلو أصواتهم:

قال أحدهم: برأيي أن نتخفى ونزحف باتجاه العدو المريخي.

قال آخر: تبًا لغبائك! وكيف لنا التخفي في مثل هذه الحرارة؟ سنحترق حتمًا. أنا برأيي أن نقترب منهم أكثر ونحفر خندقًا.

- تبًا لخنادقكم كلّها! هذا وأنتم مهندسون! سنصبح أرانب بين قبضة المريخيين.

قد كررتُ وصفي لهم عن شكل المريخيين بأنّهم أخطبوطات.

فقال جنديٌ نحيف الجسم، شعره داكن: دعونا نفكر مليًّا..

- أجل.. سنصطادهم مثل الأخطبوط. ولكن هذه المرة سينقلب السحر على الساحر؛ فالبشر ليس هم الصيادون بل الأسماك التي ستقوم بذلك.

- علينا توخي الحذر.

- إنها ليستْ جريمة لقتل الحيوانات.

- علينا بقذيفة والتخلص منهم فورًا.

- فعلًا.. أين هي قذائفكم؟ لنقم بذلك في الحال.

تركتهم يتناقشون ويتشاجرون للبحث عن كيفية غزو المريخيين. ذهبتُ إلى السوق لأشتري الصحف الصباحية. أتأسف للقارئ حول رداءة الصحف ووضعها عناوين لا صلة لها بمجريات المنطقة. كنتُ أتضور جوعًا وأنا أُقلب الصحيفة لأرى خبر وفاة (أوجيفلي) و(هيندرسون) و(سينيت) والآخرين. وما عساي أن أفعل سوى أن أذرف دموعًا محبوسة وأرجع إلى منزلي وألقي الصحيفة من خلفي بما يقارب الساعة الثانية ظهرًا؟

ازدادتْ حرارة الجو، فقمتُ بغسل رأسي وغفوتُ قليلًا لتوقظني زوجتي لأتناول الغداء. كنتُ شارد الذهن، مشغول البال؛ لأنني أنا الوحيد الذي بوسعي إنقاذ هذه المدينة من المريخيين. أريد أن أستعيد قواي بكل ما أمتلك من بسالة لأغزو المريخيين. صراحةً، انتابني شعورٌ من الذنب لغزوهم

واقتحامهم. عشتُ هذا الصراع الذي يجنني.

هذه كائنات زارتِ البلاد، محبوسة في حفرة لا حول لها ولا قوة. لا نفهم لغتها ولا تفهمنا. لربما كان تبرير قتلها كل أولئك البشر وبالأخص (أوجيفلي) والشاب الذي لم يغب صوته عن مسامعي طالبًا الغوث، هو الدفاع عن نفسها، أو ربما ترحيب لم ندركه بعد!

يتوجب عليّ في مثل هذه الظروف التعمُّق أكثر لمعرفة طبيعتهم. أنا بحاجة طاقم الجنود وهم أيضًا كذلك. خرجتُ مجددًا نحو الساعة الرابعة والنصف؛ لأشتري الصحيفة مجددًا متمنيًا أنْ أقرأ أخبارًا مكتملةً عن حقيقة المشهد، رغم إيماني العميق أنّ الصحف الأخبارية لم تشفي غليلي بعد؛ فأنا رجلُ علمٍ أؤمن بالمنطق والعقل، ولكن كانتْ هذه الأنباء تطمئني لو جزءًا قليلًا.

عجزتْ قواميس اللغة وصف مرارة ما يجري في هذه اللحظة. تم إخلاء سكان المدينة. بدأ المريخيون الاستعداد

للحرب بعد أنْ أطلق المهندسون قذيفة إلى الأسطوانة الثانية. حدث انفجار هائل، استطعتُ أنا وزوجتي رؤية الشظايا التي دخلتْ إلى زوايا منزلنا. تفتَّتَ القرميد، وتكسرتْ أجذاع الشجر، أصوات النساء والأطفال: اختبِئوا.. اخرجوا..

أخبرتُ زوجتي أنّ علينا مغادرة المنزل مع الخادمة.

– وإلى أين سنغادر؟ لا مكان لدينا!

– إلى ليذرهيد.

– ليذرهيد؟

– أجل، عند أبناء عمومتي.. لا وقت للتفكير.

أخبرتُ الخادمة أنّ عليها الإسراع في الرحيل ولا وقت للبقاء هنا. ولكنّها رفضتْ لأنّها تريد صندوق الممتلكات الموجود في العلية. وعدتُها أنْ أعود لإحضاره. ركضتُ إلى الحانة لأمتطي منه العربة، ولكنه طلب مني جنيهًا واحدًا فأعطيته اثنين. لم استطع امتطاء الجواد من المرة الأولى. استدرتُ إلى

المنزل لأُحضر بعض ممتلكاتٍ نفيسةٍ وأوراقًا مهمةً وصندوقَ الخادمة، ثم أكملتُ المسير.

كنتُ أمتطي الجواد وصرخات الناس تتسابق فيما بينها. السماء سوداء، والحقول الخضراء تأكلها النيران. لم أستطع تمالك المشهد حين رأيتُ ذاك الطبيب الذي يسارع عربته بحمل المصابين الذين تضرروا من الحريق. يا للمريخيين! وما عساهم يفعلون بعد؟ إلى أين نحن نسير وما نتائج معركة لم ندركها جميعنا؟

انهارتِ الكلية التي درستُ بها، احترقتْ أدراج العلم في فينة وضحاها. أجراس الكنيسة سقطتْ وانهارتْ أعمدتها. لا طيور تُحلِّق في سماء هذا اليوم المشؤوم. قد استبدلتِ النساء صراخهن بنعيق الغراب، وسلب بكاء الأطفال دموعي التي احتجتها الآن لأسقطها من عيوني المثقلة. منزل ذكرياتنا قد ودعته وعسانا لن نعود إليه بعد هذه المعركة التي تحولتْ إلى حرب.

لم أكن سائقًا متقنًا للجواد؛ فكان لا بُد من الانتباه إلى مسيري. نظرتُ مرة أخرى، وأخيرًا التل الذي اعتراه الدهان الأسود. مسكتُ السواط وضربتُ الجواد به؛ لعله يسرع كما تسرع دقات قلبي الراجف، بل الباسل. أرخيتُ للجواد كل العنان لتَجاوُز منطقة «ووكينج» حيث أراد الطبيب اتباع مسيري، ولكني سبقته.

الفصل العاشر
من قلب العاصفة

مع سواد الليل الذي لم أعد أرى سواه، وصوت نعيق الموت الذي بات يحيط مخيلتي وكل أفكاري، وصلتُ أنا وزوجتي مع الخادمة إلى بيت أبناء عمومتي. كان الجواد مرهقًا من تعب الطريق؛ فليته ينطق عن حدة خفقان قلبه لأراد الهروب. استقبلني أولاد عمومتي حسن استقبال. تناولتُ العشاء معهم وأخبرتهم عمّا جرى في مدينتا. كانتْ عقولهم على وشك الجنون ممّا تسمع.

كان نصفي الآخر شارد الذهن تمامًا؛ أُفكر في منزلي وبالكائنات المريخية. شعرتُ هذه المرة أنّه يتوجب عليّ المشاركة في هذه الحرب. المشاركة والانتصار سويًا. شعرتُ بالاطمئنان قليلًا أنّ زوجتي على ما يرام هنا، ولكن يتوجب عليّ الرحيل والعودة إلى المرعى.

كانتْ عيون زوجتي تتكلم بأن لا أغادر ونبقى هنا سويًا. عيونها خائفة عليّ أكثر من خوفها على نفسها. ولكن يا زوجتي

العزيزة تفهمي عذري، وأعدك بالعودة كما وعدتُ الخادمة بإحضار الصندوق لها. قد أحضر خادم أولاد عمومتي المصباح، ولحسن الحظ كنتُ أفهم الطريق أكثر من كَوني حفظتُ معالمه. امتطيتُ الجواد لأعود إلى المرعى.

لم أستطع النظر إلى الوراء لأودع زوجتي؛ فهي كانتْ كل ما أملك وهي الأغلى لدي. كان مسيري إلى الأمام في هذا الجو غزير المطر، كاحل الظلمة. تأسفتُ للجواد الذي أمتطيه؛ فقد أرهقته بشدة. كان البرق يسحق مسمعي. لا أستطيع أن أخبئ خوفي؛ فقلبي يرجف رجفًا لم يسبق له. ما أصعبه من شعور أن يكون قلبي هناك وعقلي هنا مثقلًا بالأفكار التي لا تنتهي! الغريب بالأمر أنني أسمع أجراس الكنيسة! وأضواء خضراء تخرق مسامعي.

كان الجواد بعربته يُسرع للغاية في مسيره إلى أن تعثر وسقطتِ العربة. قد تدحرجتُ إلى البركة التي أغرقتْ أخمص قدماي بللًا، فيما أنّ المطر قد أغرقني من رأسي. أشعر بالخوف الشديد

من سطوع هذا الضوء الأخضر! يا إلهي، إنّه كائن ثالث قادم إلى كوكب الأرض!

تثاقلتْ أقدامي بالمسير في البركة لأطمئن على الحصان. قد كُسرتْ رقبته إلى حد الموت. لم يكن بوسعي سوى أن أركض أكثر فأكثر؛ فهذا الكائن الثالث يقترب مني. جسمه قائمٌ ككرسي بثلاثة أقدام. ضخم، مرعب، وقاتل. بات يقترب مني وأنا أهرب. صوته يقبض روحي. تحدث معي من بعيدٍ بكلمات يكررها:

- ألو.. ألو..

ركضتُ مسرعًا لألجأ إلى مكان آمن؛ فعلى ما يبدو أنّ هذا الكائن حفظ ملامح وجهي المرهق. وجدتُ كوخًا بأسقف مكسورة. فالبريق الأخضر يشيده ظلال الكائن ذي الثلاث أقدام. مد يده نحوي، هكذا شعرت. اختبأتُ فوق جسم لم أكد أراه. اتكأتُ عليه. ويا للرهبة، قد كانتْ جثة! أحسستُ بنبضه ولكن قد مات. أمات رعبًا أم جوعًا؟ يا إلهي، إنه صاحب

الحانة الذي أعطاني العربة! قد أصابني اشمئزازًا للمسي جثة ميتة لأول مرة.

كل تلك الأصوات وأرواح الموتى تلاحقني. خرجتُ من الكوخ، وهربتُ مختبئًا وراء أشجار الصنوبر المحروقة. أرى جثث البشر تُقتل في كل مكان. كل ما في وسعي هو الهرب أو الموت، بالأحرى النجاة من هذه الحياة. أوشكتُ الوصول إلى منزلي. منزلي الذي أرى به وميض من الأمل لأعيش سالمًا. سأشارك في هذه الحرب؛ فصرتُ أعرف تفاصيل الأعداء وخصومي. وصلتُ منزلي راميًا ثقل تعبي على الأريكة. وأما عن خوفي، بات رفيق قلبي مع كل الكدمات المرسومة على جسدي.

الفصل الحادي عشر
في النافذة

رجعتُ إلى منزلي وكأنني عدتُ إلى وطن بعد غربة. ما زال قلبي يشغلني بزوجتي التي تركتها في «ليذرهيد»، ولكني صممتُ أن أخوض الحرب التي عزمتُ فيها على الانتصار. كنتُ أتضور جوعًا وفضولًا لمعرفة ما حلَّ بمدينتي. صعدتُ إلى العلّية قرب النافذة حيث أرى الدخان العارم في أرجاء المنازل.

كانتِ السكة الحديدية عاجزة عن المسير، مقسمة إلى شظايا. وهناك أرى الناس إلى أشلاء موزعين بين الغابات. كانتْ عيوني ترصد المناظر وكأنها «تليسكوبًا» يصطاد ما لا يراه غيري. المدرسة، الكنيسة، المتاجر كلها قد حال بها الدمار دون سابق إنذار.

لم أتمالك نفسي لرؤية مدينتي التي ترعرعتُ بها وتربَّت فيها ذكرياتي تنهار بهذا الشكل. كانتِ الأشجار تصيح وتطلب النجدة فيعلو صوتها أجراس الإنذار التي تدوي بالمنطقة.

جهشتُ بالبكاء على لعب الأطفال المرمية بين حنايا الطرق، على كتبهم المرمية، ومقاعدهم المكسورة.

تقلبتْ عيوني إلى المرعى. فتكبدتْ لتراه أكثر وضوحًا. توقفتُ لوهلة لأدرك أنّ ما أشاهده فعلًا حقيقة. كانتِ الكائنات المريخية تسيطر على المنطقة، وكان الضوء الأخضر استدل على المكان. كلهم يحرسون الأسطوانة ويحفرون ما حولها. أجسامهم ثقيلة بحركة بطيئة، ولكن قوتهم بالغة. يحرقون ما حولهم. أغلقتُ نافذتي من رعب المشهد.

هرعتُ ركضًا حاملًا خطواتي إلى الأسفل؛ فما عدتُ أتحملُ رعبهم. توقف قلبي لدقيقة حين سمعتُ صوت حركة في حديقتي. لا بُد أنّ المريخي جاء ليغزوني. ما السلاح الذي يتوجب عليّ حمله للدفاع به عن نفسي: سكين، ملعقة، حجر.. وقود. لم أستعد بعد للهجوم عليه. ولكن، لا خوف داخل قلبي سوى قلقلي أن لا تبقى زوجتي أرملة من بعدي.

وضّبتُ أحزمة الخوف، والتقطتُ أنفاسًا ثكلى بالكاد أستطيع

التقاطها. اختبأتُ خلف الباب. وصرختُ بأعلى صوتي:

– من أنت؟ من تكون؟

قال: أنا أبحث عن مكان آمن.

– هل أنت بشري؟

– بدم ولحم.. ساعدني أرجوك.

– أهلًا وسهلًا بك يا رجل، قد أرعبتني!

– ها، ظننتُ بأنني مريخيّ؟

– بالتأكيد، نعم.

– ياه يا رجل، أنا كنتُ مدافعًا حربيًا في إبادة المريخيين. يريدون محو البشرية. إنّهم أقوياء.. حقيقةً، على وشك أنْ نُهزم أو أننا هُزمنا.

– حقًا باستطاعتهم هزيمتنا؟ لا، مستحيل!

– معداتهم ثقيلة ومتطورة، يقتلون الأبرياء، لا يفهمون سوى لغة الظلم والإبادة.

– الإبادة؟

– أجل.. أقول لك بأننا نحاربهم دون فهم طبيعتهم، قوتهم خارقة.

– لا بُدّ أن ننتصر؛ فهذه الأرض لنا.. صحيح على ما يبدو أنك جائع.. سأعدّ لك الطعام.

– نعم.. جائع كثيرًا.

– تفضل واجلس معي في المطبخ.. أتمنى أن يكون منزلي دافئًا آمنًا!

– ما أجمل رائحة الطعام! فقد كرهتُ رائحة الجثث النتنة والحرائق.

صار الرجل يتمالك أعصابه شيئًا فشيئًا إلى أن هدَّأتُ من روعه. منحني كلامه القليل من الاطمئنان؛ لأنّ المريخيين سيستخدمون كل قواتهم وستنفد لا محالة. أتمنى، بل أدعو

بالنصر لنا قبل فوات الأوان! هزّ صوت الانفجار صمتي وارغمني لتتحرك بكل مشاعري فأنطلق نحو النافذة وأرقبه مرة أخرى. كانتْ أعمدة النيران تحيط «تشوبهام»، وقد تشكلتْ كل تلك الأعمدة من الدخان الأحمر لتلتقي مع أول خيوط النهار.

الفصل الثاني عشر
في وايبريدج وشيبرتون

لم يعد منزلي آمنًا، وكل ما أفكر فيه في هذه اللحظة هو النجاة والبقاء على قيد الحياة. فكرتُ مليًّا أنا والرجل المحارب الذي معي بالهرب إلى مكان أكثر سلامًا أو على الأقل أكثر هدوءًا. حزمتُ أمتعتي وملأتُ قارورة الماء، واللحم، والخبز في حقيبة ورفعتها على ظهري؛ لعلّ هذه الأمتعة تكفينا للنزوح. دعوتُ أن أرجع إلى منزلي بعد انتهاء هذه الحرب.

اختبأتُ مع الرجل خلف أشجار الصنوبر. لم أكن وحدي فحسب الذي يفكر بالفرار؛ بل أن كل سكان المنطقة أعلنوا اللجوء إلى مدينة أخرى. على حافة الطرق، رأيتُ أشلاءً بأُمّ عيني، أحذية فارهة، معالق فضية، حقائب ثرية... ممتلكات الناس كلها مُلقاة على الأرض.

تلك العجوز التي تودع كوخها مع حفيدها، والزوجان اللذان يحملان باب منزلهم على أمل الاحتماء به، وذاك القسّ الذي يخطب بالناس. أما عن البقر، كانتْ تسرح في الحقل

وكأنّها في عالم آخر. كان الشبّان يطلقون بعض النكت في مسيرهم، فحَسب ما شعرتُ به أنّ فعلًا شرّ البلية ما يُضحك. فكانتْ تلك «القهقهات» تخفي أحزانهم ومخاوفهم من القادم، ألا وهو الموت.

هذه المرة، لم أتمالك نفسي فصحتُ بأعلى صوتي: إنّه قادم.. الموت قادم.

مشينا على بعد أميال، إلى أن تلاقينا بمجموعة من الجنود. كانوا يتساءلون عن الطريق الذي تسكله الكائنات المريخية، فتدخلتُ وأجبتهم:

– على بعد أميال يا سَيدي من هناك.

– وماذا دهاك لأنْ تجيب؟

– لا، إنّي أشتم قدومهم.. يرتدون القلنسوة اللامعة بعين الشمس، يحرقون الأبرياء ويُقطعون البشر إلى أشلاء.

– صحيح كلامك.. سنقاتلهم بالمدافع ونغزوهم.

- يا سيدي، ها هم قادمون.

بدأ الناس بالصراخ مع انبعاث الحرائق بالشعاع الحراري الذي تطلقه تلك الكائنات. ازداد أعداد المهاجمين منهم. كانوا بالأمس ثلاثة، ثم أربعة، والآن خمسة. تساءلتُ ما إن كانوا يتكاثرون بهذه السهولة؟ تعجبتُ من تجهيزاتهم المستعدة لقتالنا. وما الذي صنعناه لهم؟

يا إلهي! «أيّها البشر، المريخيون يقتربون منا». وصرختُ بأعلى صوتي «هيا انزلوا تحت الماء! فلنختبئ في أعماق النهر». وكان هذا الخيار الوحيد أمامي للتفوّه به. نزلتُ أنا وتقريبًا عشرون من البشر تحت الماء. كانتِ الأرضية مليئة بالحصى إلى أن تورمت أقدامنا. أنفاسنا محبوسة، ظهورنا محدبة نمشي ببطء. كنتُ أختلس النظر إلى أن سمعتُ موت عدد من البشر من الشعاع الحراري، فالصوت أميزه دون كل الأصوات. اقترب مني مريخي كانتْ أقدامه كالبشري الذي يدوس حفرة نمل بأقدامه فيهدم أحلامه ومقتنياته.

ارتجف قلبي، وأغمضتُ عيناي، وقلتُ هذه النهاية لتنتهي حياتي. سمعتُ صوت مدفعية بشرية تقتل هذه المريخي الضخم. قفزتُ من أعلى سطح الماء متغافلًا عن الحرب التي تدور من فوق رأسي. ترنّح هذا الكائن الضخم الذي تقطع إربًا إربًا. صرختُ وقلتُ: انتصرنا.. هزمنا أول كائن فضائي!!

كانتْ أقدام الناس تمشي داخل النهر لتصعد إلى اليابسة كالضفادع التي تقفز بين أقصاب السكر. شعرتُ بألم شديد وتنفستُ بصعوبة، لأقول لنفسي: ها قد نجوتُ بأعجوبة!

الفصل الثالث عشر
لقائي بالكاهن

الغيوم مصطفة بطوابير من الغيوم السوداء. الهيلوجراف هو النجم الساطع ليرسل الوميض إلى كل المريخيين. كنتُ منهمكًا جدًا! استعنتُ للهروب من التلة التي نجوتُ منها بهذا القارب الذي لا حول له ولا قوة. فالمجداف مكسور؛ فاضطررت استخدام يداي للتجديف. كنتُ أفكر كثيرًا كيف نجوت منهم. كان منظر المريخيين الأربعة وهو يحملون جثة زميلهم لا يغادر عتبة أفكاري، بل كيف لهم أن يتركوا ضحية مثلي؟ لم أرد أن أحسد نفسي.

تركتُ ملابسي المبللة وبدأتُ التجديف وحدي؛ فكانتْ آشعة الشمس تحرق ظهري. وأما عن حرارة الماء فجدًا ساخنة من الكائن الذي ترنّحتْ أعضاؤه فيها. قد وصلتُ مكانًا لا أعرف معالمه. شعرتُ بالظمأ الشديد، وندمتُ أنني تركتُ القارورة خلفي. أعياني التعب جدًا إلى أن غفوتُ. لا أعرف لماذا شعرت بالغضب فجأة من زوجتي! لربما اشتقتُ لها أو

أنني قلقٌ عليها. ولكنّي سأبذل كل ما بوسعي للانتصار والعودة إليها.

غفوتُ كثيرًا من الإرهاق إلى أن أيقظني ظل رجل عملاق، شعره أشقر مبتل. كان القس الذي رأيته سابقًا:

– أمعك ماء؟ إنني شديد العطش!

– من أنت؟ كيف وصلتَ إلى هنا؟

– أريد ماء.. أين أنت؟

– لا.. من أنت؟

– من نحن؟ نحن بشر يا سيدي الكاهن.

– ما الذي يحدث؟ كنّا نعيش بسلام! زلزال وحرائق حلّتْ في مدينتنا، وما الذنب الذي اقترفناه نحن البشر؟

– لا عليك.. أنت صاحب دين وعلم، عليك والأمل.

– أمل... عن أي أمل تتحدث يا هذا؟ إنّها إبادة.. مدارس الاتحاد، الكنيسة التي بنيناها في ثلاث سنوات، ومنصبي الذي

توليته جديدًا.. الحياة هنا ستنتهي.. سيموت كل البشر..

- قلتُ لك الأمل.

- الأمل؟ إنها نهاية العالم.. إنه يوم الرب العظيم؛ حيث ستختفي الأشجار والأنهار، وتموت كل الكائنات الحية.. وتقول لي أمل! يحدث لنا إبادة من كائنات لا ذنب لها فيها.. وتحدثني بالأمل.. قد صار فينا مثل أحداث شبونة القرن الماضي.

- سننجو، تحلّى بالصبر يا رجل! هل تعرف الطريق جيدًا؟ هيا نسلك الطريق سويًا إلى لندن.

- وما ذاك الوميض؟

- إنه الهيلوجراف؛ يرسل لهم إشاراتٍ...

- لا إنّها النهاية.. نهاية عالمنا.

- من الأفضل أنّ نسلك الطريق الآن نحو الشمال.. هيا بنا أيّها الكاهن.

الفصل الرابع عشر
في لندن

صحف لندن معزولة تمامًا عن الأخبار التي شهدتها منطقتي. كل الصحف كانتْ تتداول أنباء عن وجود احتراق، عن كوكب المريخ، كيفية العيش على كوكب المريخ. ولكن كل تلك الصحف لم تتداول حقيقة الأمر. فكانتْ تُخفي أو تتهرب من الأحداث التي كنا نعيشها.

في لندن، المدينة التي يعيش بها أخي الوحيد. كان يدرس الطب هناك. قد سمع أخبار قدوم المريخيين وغزوهم نحوي؛ فقد قلق جدًا بشأني. قد أرسل لي برقيات، ولكن لقطع الاتصالات لم تصل أيّ منهنّ إليّ.

كان أخي يذهب إلى الكنيسة يوميًا للصلاة لي، وللكوكب كي يبقى بسلام. أما بالنسبة لمحطات القطارات، فقد اكتظتْ بالقادمين، ألا وهم اللاجئين الهاربين من المريخيين. اكتظاظ لم تشهده لندن من قبل.

كان الأمر مروعًا! فنصف البشر يظنون أنّ المريخيين مجرد

وحوش ضخمة فقط أو أنهم بشرٌ ظالمون. لم يعلموا أنهم بالأصل كائنات لهم عقول في آليات باسقة وحارقة. لم يشعروا بكمية الخوف الذي ذقناه من رعب تلك الكائنات.

كان فقط طلاب الأحياء هم من يهتمون بالأخبار التي تفيدهم في مادة التشريح. شعرتُ بقلق أخي نحوي. فلا اتصالات ولا برقيات تطمئنه وتُسكن توتره. كل ما بوسعه هو أن يشتري الصحيفة الوحيدة التي تداولتْ أخبارًا تُحاكي نسيج الواقع الأصلي التي كان يتحدث بها رئيس الأركان:

- لندن تختنق وتحترق.. إنها على وشك اللحاق بالإبادة.

أسرع أخي بشرائها بشلن رغم أن ثمنها لا يضاهي ذلك، ولكن قيمة الخبر دفعته إلى أن يدفع. ركض أخي إلى المسكن وأخبر أصدقاءه بتداول الأنباء. كان يصغي من النافذة إلى بائع الصحف ليعلم المزيد من الأخبار:

- يا صديقي، انظر إلى ازدحام أوكسفورد.

- بل انظر إلى الدخان هناك، إلى الوميض الذي تعلوه السماء.

وهنا بدأ المريخيون بتجهيز معداتهم أكثر لخوض الحرب مع البشر. فبدأتِ الأخبار أكثر انتشارًا مع ازدياد اللاجئين القادمين إلى المدينة. لعل القادم أسوء بكثير ممّا نتخيل!

الفصل الخامس عشر
هكذا ما جرى في "سَري"

كنتُ أنا والكاهن نمشي مرهقَين مغطَين رأسَينا بأوراق الصنوبر. ها نحن الاثنان نشهد الحرب، ونعيش أحداثها عن قرب. أزداد عددهم أكثر فأكثر. أصبحوا منظَّمين أكثر أيضًا. يصطفون بطوابير منتظمة، حتى أنّ أصواتهم صارتْ تعلو في أرجاء المنطقة. أصواتهم كالعواء المزعج.

كان الكاهن يرتجف خوفًا، ماسكًا في قميصي من الخلف كطفلٍ صغير لم يحل واجبه الدراسي. ولأول مرة أرى دموع كاهنٍ تُبتل لحيته الشقراء. لم أملك الكلام لأواسيه، فحالي من حاله. صارتْ نفسيتي تضطرب أكثر؛ فالحرب من أمامي والبشر بمدفعياتهم يهاجمون المريخيين.

جرفتني الأفكار نحو استحواذ المريخيون على شركات الأسلحة فتصبح ملكهم. صاروا يبيدون كل ممتلكات الأرض، يتنقلون بحرية هنا وهناك. دنسوا الأرض بأقدامهم الضخمة. كيف لهم أن يتجرؤوا ويطؤوا مساكننا؟ لم تعد الأرض هنا

صالحة للعيش!

صارتِ الحقول بزرعها محروقة، جثث مطروحة كأوراق الشجر. بات المريخيون يفهمون البشر كثيرًا، ولم يكن بوسع المحاربون البشر سوى زرع ألغامًا.

لم أشعر أنّ الحرب كانتْ متكافئة. فالمدافعون العرب كانوا متطوعين ليس لديهم أدنى خبرة في القتال. كانوا فقط يلقون القنابل على حسن نواياهم. وفعلًا، قد أصابتْ نيتهم رِجل ذاك الكائن ثلاثي القوائم الشبيه بالكرسي.

تضرمتْ النار وابتلعتْ خضار الأرض. وقلوبنا تموت كل لحظة مع صوت العواء وحرارة الحريق. قلقتُ هذه المرة جدًا على أخي الساكن في لندن. حتمًا ستصل النار هناك؛ فضباب الحرب سيلتهم المزيد من المدن. نظرتُ إلى الكاهن وقلتُ له:

- عليك بالأمل والدعاء.

- الأمل مجددًا بعد كل هذا؟

- أجل، ولا نملك سواه.

حل الصمتُ، لتتراجع القوات المريخية خلفًا دون معرفة السبب، مع هجومهم ضد البشر. رغم كثرة أسلحتهم ومعداتهم فهم يرسلون برقيات لإمدادهم بمريخيين آخرين. آمنتُ أنّ المريخيين أدركوا أنّ البشر أذكى منهم في القتال. من المؤكد أنّهم يُخفون رعبهم. يمشون بين الأزقة والممرات بشكل متلاطم غير منظم. أأصابتهم هلوسة الانتقام أم هذا بداية لشر الانتقام؟

الفصل السادس عشر
النزوح من لندن

ألك أن تتخيل كمية الخوف الهادرة التي سيطرتْ على أكبر مدن العالم عند بزوغ فجر يوم الاثنين؟ تحوَّل قدوم النازحين إلى هذه المدينة لسَيل غارق، مع حالة من الهلع والاضطراب في كل مناطق السكك الحديدية.

كان دور الشرطة يتركز بتنظيم وتلاحم النازحين بكفاءة. فالضعف بات يدبّ في نفوسهم، حتى أنّهم صاروا يهرولون مع النازحين ليكونوا من الناجين.

تلقتْ منطقة «التيمز» إنذارًا يوم الأحد بتلقي النازحين؛ فهم على دراية بخطورة ما سيحصل لاحقًا. رفض سائقو القطارات العودة لتعبئها بالفحم للعودة إلى لندن؛ فهم أيضًا يريدون الهرولة والنجاة؛ فأرواحهم تدعوهم لفعل ذلك.

في لندن، كان على الجميع إخلاء أماكنهم للهروب. كان شقيقي هو أول من فكر بالفرار من الهلع، مشى من «ادجوير رود» إلى «ادجوير» مُنهكًا دون أن يتناول طعامًا، لكنه كان

يسبق الحشد بكثير.

لم تعد الدراجات صالحة للركوب من ضغط راكبيها؛ فمعظم دولابيها أصبحتْ مثقوبة. مشاهد غضب الله انتقلتْ إلى لندن. جهل شقيقي كيفية التعامل في ظل هذا الموقف. أعداد النازحين تكثر رغم وجود الكثير من المتسكعين مثل أخي لمعرفة أخبار قدوم المريخيين إلى لندن. ولكن لم ترد أخبار عن ذلك بعد.

كان الطريق مزدحمًا، غير مكتظ، ولكنه مُثقل بالأسئلة التي يبحث عنها الجميع.

ظل أخي يمشي كثيرًا إلى مكان لا يعرفه. تتبع ممرًا للمشاة يتجه نحو الشمال الشرقي مارًا بعديد من المزارع والبيوت التي يجهل أسماءها، إلى أن التقى صدفة بسيدتين أصبحتا بعد ساعات عدة رفيقتاه في النزوح. كان هذا الوقت المناسب لمعرفتهما.

كانتْ السيدتان تصرخان تطلبان النجدة؛ فعربتهما عالقة والخيل منطوح. فقام بتقديم يد العون وإنقاذهما من رجل يمسك السوط يريد خنقهما وسلب ممتلكاتهما. أهذا وقتٌ

مناسبٌ للسرقة؟ تبًا للاستغلال.

كان أخي الطبيب ملاكمًا متمرسًا؛ فطرح الرجل أرضًا بجانب عجلة العربة. لم يكن وقتًا مناسب لإبراز شهامة الملاكمين، بل الوقت الأنسب لركل الرجل اللعين بالسوط على وجهه وعينيه.

أدرك الرجل أنّه لا محالة للدفاع؛ ففر وكرّ كجرذ على جبنة.

أصبح شقيقي قائدًا للعربة. وأبدتِ السيدتان له شكرهما. فقد ضحَّى بحياته سبيل إنقاذهما. دارتِ المحادثات الباردة بينهم، ليعلم أخي أنّ السيدة هي زوجة جرّاح شهير في المنطقة فقد تركها مع الخادمة ليهرب بروحه وحيدًا.

شهدتْ مدينة لندن أهوال الرعب، فذاك ضريرٌ يصيح:

- سنموت جميعًا.. استعدوا!!

كان صوت الضرير يدق ناقوس الخطر مع الضباب الأسود الداكن في أرجاء المدينة. هذه المدينة التي تدق شوارعها ساعات

التطور والحضارة: يعتريها صراخ وضجيج. الكل يفكر بنفسه فقط، وكأنّ الروح تنازع على البقاء للمجهول. مدينة لندن تشهد أصواتًا من العواء البعيد. أسيغزو المريخيون هذه المدينة على بعد أمتار؟ ما الذي سيؤول بنا نحن البشر؟

الفصل السابع عشر
فتاة الرعد

لم تكن نوايا المريخيين الإبادة فحسب؛ لأنهم لو أرادوها لقتلوا كل البشر. قدومهم لمحو الحضارة البشرية، لسحق التطور العمراني الذي أبدع فيه الإنسان. عالم مريب، وساعات من الألم تشهدها لندن بتجمع نحو ٦ ملايين بشريّ يجمعهم هدف واحد ألا وهو النجاة. كل أولئك البشر يركضون بين أزقة لندن هاربين من قدوم المريخيين.

لا طعام ولا ماء لديهم. السرقة صارتْ مشروعة فالمخازن يرتادها الناس دون إذن بعد هرب مالكيها. صارتِ الشركات تستأنف العاملين لديها، وتستبدل غيرهم؛ فالكل هارب. لقمة العيش هي عنوان الصحف. فتشكلتْ لجنة: المعونات الوطنية لمدّ السكان بأقل مكونات الطعام.

لم تعد رائحة الكعك شهية بعد الآن، حتى أنّ لون الشاي ملطخٌ بالدماء. قلقتُ جدًا على أخي وعلى زوجتي التي لا أستطيع الوصول إليها إلى الآن، ولكنّي على عهدي بالالتقاء

بها. الغني في هذه اللحظة هو المهيمن؛ للهروب بحرًا على متن سفينة الرعد. هذه السفينة الحربية التي بوسعها الدفاع عن راكبيها.

لحسن حظ شقيقي وزميلتَيه اللتان كانتا تمتلكان المال. كان أخي ممّن حالفه الحظ بالنزول إلى هذه السفينة الفريدة من نوعها. شاعتِ الأنباء، بل وتحققتْ بقدوم المريخيين. لم يكتفوا بغزو ريف لندن برًا فحسب، بل شرعوا إلى غزوها بحرًا.

تضخَّمتِ المعركة في قعر البحر. أغشى ظلال المريخيين سماء لندن. لتهتز سفينة فتاة الرعد بثقل الركاب. لأول مرة يرى أخي المريخيين، وقد أعياه هول المشهد.

لم يتملك الناس سوى الصراخ، والبكاء، والتوسل. هيمنة المريخيين باتتْ أقوى لسيطرتهم على مصانع البارود. أجسام المريخيين الضخمة تتطور وتزداد اشمئزازًا ورعبًا. أصواتهم بعوائهم، أسقطتْ قلوب النساء والأطفال حتى كاد الضرير أن يُبصر. سال لعاب المريخي في البحر على ركاب السفينة مجددًا

ليغرقهم إرهابًا. وما إن فرد جناحيه إلى أن خَيَّم الظلام في أرجاء الأرض. رحلتِ الشمس من بين السحب الرمادية، وأظلمتْ كل السماء، ليطل نجم الليل مرتجفًا أمام أعين ناظريه. مر وقتٌ طويلٌ على الغسق، ولا يملك رُبّان سفينة فتاة الرعد سوى الإشارة بيدٍ نحو شقيقي أنّه ما يزال على قيد الحياة. فظهر من الناحية الأخرى شيءٌ ضخمٌ اندفع في خط كبير ليتضاءل رويدًا رويدًا، ثم يختفي مرة أخرى ليعمد الظلام على الأرض. فكيف ستكون الأرض في قبضة المريخيين؟ للحديث بقية.

الأرض في قبضة المريخيين

الفصل الأول
أدنى الأقدام

سأبدأ حيث انتهيتُ؛ بالحديث عن مغامراتي لقدوم المريخيين على كوكبنا الأرضي في كتابي الأول. فأضفتُ رحلتي على سطوره لأُعلن أنّ القادم لن يكون أجمل. كان لشقيقي نصيبٌ أن أذكره بين تلك الحروف، وأمّا عن نفسي سأكمل مسيرة قصتي مع الكاهن الذي اختبأتُ معه هاربين من الدخان الأسود في «هاليفورد».

ما بين الفينة والأخرى، كان يسرقني التفكير حول زوجتي؛ إذ كان ينتابها التفكير أنّني فارقتُ الحياة ام لا؟ ما زلتُ أجزم أنّ أقاربي الذين تسكن عندهم على قدر من الشجاعة والبسالة، ولكن الأمر لا يتطلبهما؛ ففي هذا الوقت: الحزم، والحيطة والحذر هما الكفيلان لتخطي شعور الرعب والقلق.

مكثتُ مع الكاهن؛ الذي كان يزيد طينة خوفي بللًا. فكلما أردتُ أن أُطمئن نفسي أنّ الخطة ستنجح بالهروب من هذا المكان، يزيدني ريبًا وشؤمًا أنّ الموت قادم لا محالة. بقيتُ هنا

يوم الأحد وليلة تليه. بيت صغير كله أفكار الخوف بطعم الفراق المشؤوم.

كان يحاصرنا العدو المريخي؛ الذي كان يعثو في الديار كما يشاء. قررتُ الفرار من هنا للانتقال إلى مكان آخر. وحقيقةً، قررتُ الذهاب بمفردي والمغامرة بذلك، وترك الكاهن الذي يلتصق بأفكار تغيمها الحظ السيئ. أخبرته بكل ما يدور في ذهني، وأنّ علينا الفرار أذا أراد المجيء معي:

– علينا مغادرة هذا المكان.

– صدقتَ.. وبأسرع وقت.

– أجل؛ فالمريخيون قريبون من المنزل، على بضع أمتار من هنا.

– أنت القائد وأنا أسير خلفك.

صدمتني كلمات الكاهن الذي أوحى لي أنّه يحب الحياة ويقاوم للعيش فيها. ولم تبزع شمس النهار الآتي إلى أنْ سبقتُ

أشعة الشمس لأجلس وحدي في الغرفة الصغيرة التي تملؤها بضع من الدفاتر والقرطاسية ومجسم للكرة الأرضية. كانتْ يداي تنزف من جروح بالغة أُصبتُ بها أثناء مسيري. أخذتُ قميصان قطنيان، وعزمتُ الرحيل بأقرب وقت.

كان الجوع يخفق في ثنايا معدتي، وكأنّ طفلًا صغيرًا يصرخ في أجواف جسدي. بل كان الطفل الأصغر هو الكاهن الذي يمسك بقميصي من الخلف ليتتبع خطواتي. كانتْ أقدام المريخيين ضخمة تهز كياننا. كنتُ أشاهد الدخان الأسود الذي يقترب شيئًا فشيئًا نحو ضفاف النهر. كنتُ أشاهد من حولي جثث الخيول الملقاة أرضًا، مزينة بجثث من البشر ساقطين من الدراجات النارية المقطعة إلى أشلاء.

لم أبالي بتلك المشاهد إطلاقًا وكأنني اعتدتها من قبل. كانتِ المنازل ساكنة، وعلى ما يبدو مسكونة بأناس يشعرون بالخوف كما كنتُ أنا. ولكن السكون عارم في أرجاء المنطقة. كانتِ الخطوات توالي بعضها البعض. رصدتُ الهدف لأصل إلى ذاك

المنزل الكبير، فالأمل مشهود بأن تنبض العقول بأفكار البقاء على قيد الحياة بعيدًا عن الآلام.

رميتُ قدماي الثكلى نفسها على أرض هذا المنزل. فيا إلهي كم كان الوصول شاقًا وصعبًا! فما أشده من عذاب الهروب للعيش! كانتْ خطوات المريخي الذي يحمل المدافع داخل دبابات تهز روحي وروح الكاهن المتشبث بدعوات للبقاء حيًا. شعرتُ أن دعواته تنتزع الإيثار منه فالأنانية بالعيش دوني كانتْ تناهض مسامعي.

دخلتُ إلى أدراج هذا المنزل، ولأول مرة لم أطرق الباب أو أطلب الاستئذان؛ فرب المنزل متوفيًا مع عائلته التي أُبيدت بفعل المريخيين. تعم الرائحة الكريهة المنكهة بطعم الموت زوايا البيت. كانتِ الأعشاب يحتضر اخضرارها، والهواء ملوث بأكسجين الدم، والتراب مطحون بذرات من القمع والزوال. لا طعام في المطبخ سوى جبن يعتريه العفن، خبز مكسد بطحين الظلم، وماء صالح للشرب غير صالح ليجعلني أدرك ما أراه

من حولي:

- إنّني أشعر بالخوف.

- حقًا؟ لا تخف.. سننجو.

- الرب يحميك.

- علينا الدخول إلى غرفة المؤن؛ فلها سقيفة قرميد صلبة.

- هيا بنا..

ما إن دخلنا فإذا بـ هزة زعزعتْ أرجاء المنطقة. لم تكن هزة أرضية كزلزال عابر كباقي المدن؛ كانتْ رجة قلبتني رأسًا على عقب:

- هل أنتَ بخير؟

- أنا؟ ما الذي حدث؟

- قد أغشى عليك فترة طويلة.

- ساعة؟ اثنتان؟ نهار؟؟

- لا أدري.. لكنها مدة طويلة.. خذ رشفة من هذه المياه.

قد غسل الكاهن رأسي الملطخ بالدماء بعد أن فُقتُ من غيبوبة مجهولة الزمن. كان وجهه الأبيض شاحبًا كطرف قميصه الذي تعبق باللون الأحمر. خيم الصمت بيننا. تزلزل المنزل من الانبعاث الأحمر الذي أطلقه المريخي نحونا. لم يعد للمنزل معالم، فقد كانتْ أنفاسنا تسمع أصوات هدوئها. من جانبي كان ثقب غرفة المؤنة يوحي أنّ المريخي هو الذي افتعل هذ الهزة. وأما عن الخارج، فمن المؤكد أنّ أصوات الموتى تزداد، ولكن لم يفهم أحد ما يجري بالخارج سواي:

- إنّها الأسطوانة الخامسة.. المركبة الخامسة.. الهجوم الخامس من قدوم المريخيين نحونا!

شعرتُ بالجوع المتوقع. كان لا بُد من تناول أي شيء من هنا. تمالكتُ نفسي للزحف ومد يداي للقبض على أي شيء يمكن أكله. أخبرتُ الكاهن أنني سأقوم بذلك، كان مرهقًا جدًا للرد عليّ. إلى أن تنفس قليلًا وأومأ أنّه ما زال على قيد

الحياة، رغم مكوثنا تحت أقدام المريخيين من الخارج.

الفصل الثاني
ما استطعنا رؤيته من المنزل المُدَمر

لم تكن عقارب الساعة كفيلة لتدق أجراسها أنّ اليوم قد انتهى. فحدسي يخبرني أنّ ضوء النهار ما زال مشتعلًا من حولي. حوصرنا داخل هذا المنزل.

بخطوات شقية عازمة على الانتصار، ارتجلتُ نحو المطبخ حيث رأيتُ من أمامي أنّ الكاهن يستلقي على الفتحة المُطلة على الأعداء من الخارج. شعرتُ لوهلة أنني وحيدًا إلى أنّ شعرتُ أنني غفوتُ أثناء مسيري. كانتِ الهلوسة تلقي حتفها أنّ الكاهن لا يتنفس، ناديته مرارًا وتكرارًا فأجابني أنّه يسمعني.

اصطف إلى مسامع أذني عدد من الأصوات التي بالكاد تشبه قرقعة في حظيرة القاطرات؛ مما ارتج المكان من الهدير المتواصل. كان المنزل الوحيد الذي لُذنا إليه لنشعر ببضع من الأمان، وقليل من خيبات الأمل على وشك الانهيار. فالمنزل تتساقط قطع جدرانه كحبات الخرز من سلسلة عروس ودّعتْ

يوم زفافها.

شعرنا أنا والكاهن بالهزة التي أرجفتْ قلوبنا وزرعتْ فينا التخلي عن مفهوم الحياة. كان كلانا ينتظر شيئًا ما مفقودًا، شيئًا شبيهًا بالموعود، أو بالأحرى شيئًا شبيهًا بطعم الموت. كلما أردتُ التحرك، انتفض الكاهن من رعب الصمت الذي يداهمنا. نهايةً قد أدركنا أنّ المنزل وقع في قبضة المريخيين، بل بوسط الأسطوانة المتفجرة.

لم يبقَ في المنزل هذا سوى ركام مندثر، وقليل من الذكريات التي عشناها للتو ساعات. كان بين ثنايا الجدار ثقب يشع منه بصيص من الرجاء والتمني. حدقتُ أكثر في الثقب لأرى تفاصيل المعركة التي بالأجدر أنّ أسميها حرب من المريخيين.

لم يستطع رسام من قبل أن يصف أحداث الحرب كما ترسمه فرشاة عقلي، بل ولن يستطع عالم فسيولوجي تفسير نفسية المريخيين. كانتْ عيناي هما الوحيدتان والأقرب إلى ما يجري في أرجاء المدينة. فقد تغلبتْ على كل العلماء الذين جازفوا

وضَحوا بحياتهم لتكون قربانًا للعلم والمعرفة.

حدقتُ ساعاتٍ طوال لأنقل إلى مسامع القارئ أنّ هناك فرق شاسع ما بين الكائن البشري والمريخي. لا أستطيع أنْ أجزم أنّ المريخي يستحق مفردة كائن؛ فكل ما أراه من أمامي آلة حديدية قابضة تشبه العنكبوت بخمس أذرع.

يا لعجب العجاب، من الآلات التي زلزلتِ الكرة الأرضية لتحظى بالسيطرة والهيمنة على أرضنا، أرض السلام والعلم والمعارف.

لم يكن للمريخي أعضاء جسدية كما نملكها نحن البشر. فحدقتُ في وجه المريخي عن كثب. يمتلك عينَين سوداوَين، أنفًا كبيرًا، فمًا يلعق بلعاب يتأرجح بين قضبان أسنانه. لا يمتلك المريخي هذا أو ذاك قلب. أجل، جزمتُ بذلك مرارًا وتكرارًا؛ فلا يملك مشاعر الحب والشوق والحنين إلى كوكب المريخ حيث عاش وترعرع.

يمتلك المريخي طاقة تضاهي قوة النمل. فهو يعمل خلال

الأربع وعشرون ساعة طيلة اليوم دون ملل، كلل، أو تذمر. فشغله الشاغل هو الدمار وإبادة الإنسان. قلبه لا يتعب ولا يجهد. فتلك المشقة التي يحملها على عاتقه تضمن له البقاء دون فناء.

من المؤكد أنه لا يجوع ولا يعطش؛ فهو يفتقد المعدة. يبتلع الطعام والبشر وكأنّهم حفنة من تراب. لا تعمل معدته ديناميكيًا لهضم الطعام. فشتان ما بيننا وبينه. حساؤه كله دماء. يعشق الدم البشري. أيشربه من جوع وهمي أو من انتقام افتراضي أصابه كي يتم مهمته؟

كلما حدقتُ أكثر إلى المريخي من أمامي، أُذهل وأُصاب بالهلع فكأنّي أُخبئ نفسي كطفل على وشك أن يهرم ويودع دميته. أين رأس المريخي هذا؟ ولماذا تركيبته مريبة إلى هذا الحد؟ فرأسه في مؤخرته:

- المريخي لا يشتَم.. لا يستخدم حاسة الشم أبدًا؛ فأنفه مرسوم ولكن منخاره مسدود. كيف له أن يتنفس؟ على ما

يبدو أن رئته مصنوعة من فولاذ.

قد أرهقني شكله عن قرب. شعرتُ أنني طبيب يتوجب عليّ تشخيصه. ها، قد تذكرتُ أنه في عام ١٨٩٣ في نوفمبر أو ديسمبر، فلا أستطيع أن أجزم، ولكن الأهم أنّ هناك عالم قد تنبأ عنهم في مجلة توقف صدورها منذ زمن بعيد واسمها «بالمال بادجيت»؛ حيثُ تضمنَتْ رسومًا كاريكترية ساخرة حول هذا الموضوع.

إنّ المريخيين رؤوس أكثر من أن تكون كائنات. تغشي الرؤية الدخان الأحمر مع انبعاث أخضر. هناك، أرى المريخيين ينثر حبوبًا قرمزية كي يأكلها. أخشى أن تكون ألغامًا أو كمينًا لدى البشر. أنا أرى وأصف للكاهن بكل التفاصيل التي أُحدقها. انتابه الفضول كي يأخذ مكان قرب الثقب ويشاهد كل ما أراه من المنزل المدمَر. فتزحزحتُ قليلًا لأسمح له بالرؤية وتناوبنا الجلوس وتبادُل الأوصاف. وكما أخبرني الكاهن أنّ المريخي سمعي؛ يمتلك أذان كبيرة، بل طبول تتيح له الاستماع إلى كل

الذبذبات. فحان دوري للجلوس مجددًا لأرى المريخيين ينقلون معدات ثقيلة من أسطوانات ضخمة. وما أثار انتباهي أنّ المريخيين ليسوا مثلنا يهتمون بارتداء الملابس؛ فمشاعر الخجل عندهم غير واردة في قواميسهم قط.

الفصل الثالث
الحصار وأيامه

كان هذا المكان الوحش الظالم، تدق به ساعات قلوبنا أنا والكاهن خشية الموت. فكلٌّ منّا له قصة وأحباب بانتظاره. كان هذا الثقب الصغير الذي نرى به أخبار المريخي هو المؤنس الوحيد لنا. ولكننا قررنا الانتقال إلى غرفة الآنية كي لا يرانا المريخي ويصطادنا.

الانتقال إلى تلك الغرفة أشبه بالرحيل عبر القوارب الزجاجية. رحيل بطعم الارتقاب لحدوث شيء ما. على أيّة حال، حزمنا أمتعة مشاعرنا وعزمنا الزحزحة بحذر. بدأ كلانا يحس بتقلص الخطر؛ لأنه من المؤكد أنّ تحركنا كان يظهر لأعين الشمس باللون الأسود الكاحل. عندما كان يتحرك المريخيون، كنّا نرتجف خوفًا.

كان الخطر محتملًا، ولكننا قاومنا وجازفنا وعزمنا على متابعة اختلاس النظر من الثقب الذي بات لنا صديق في هذا المنزل الموحش المؤنس. كنتُ أنا والكاهن نشعر بمرارة الألمين،

وهما التضور جوعًا بما أصفه بالخطورة والموت الذي يضاهيه خطرًا. كان كلانا يتصارع للحصول على تذكرةٍ والجلوس أمام هذا الثقب.

أضفنا وقت من الفرح الحزين؛ كي يتسابق كلانا نحو المطبخ وإحضار الطعام. فكانتْ حركتنا محسوبة على عاتق كلٍ منّا للآخر. مشاعرنا ممزوجة بين اللهفة والفزع ليؤكّل كلانا الآخر كلما تحرك أو تنفس على بعد بضع خطوات.

انتابتني هنا فوضى المشاعر وتغيير في التفكير. لربما أنه تأثير الموت المرتقب. على ما أذكر في هاليفورد كنتُ أبغض الكاهن بما يمتلك من مشاعر بائسة بجمود عقله وصعوبة تفكيره الذي كان يرسل لي معاني التشاؤم والكراهية، حينها كدتُ أصاب بالجنون من حدة التفكير برفقته.

كان الكاهن يبكي بشدة كامرأة غبية ساذجة. أستطيع وصفه كطفل مدلل لا يهدأ إلا بتناول الطعام. فعلًا، هذا الكاهن يتناول بنهم بكميات مريبة، والأشد ريبةً أنه لا ينام

إلا قليلًا. قد نبهته على عدم التبذير بكمية الطعام؛ فنحن نواجه حرب حرجة. يجب أن تبقى بعض اللقيمات لمواكبة ما تبقى من أيام الحصار. كم هو كاهن أناني؟ كيف كان يعظ الناس بالإيثار والتضحية في الكنيسة المقدسة؟ كيف؟ هذا لم أستطع أن أجد إجابته. غضب دفين داخلي يدفعني إلى.. إلى الصبر لا أكثر.

قد زاد الأمر عن حده مع توالي الأيام. ووصلتُ إلى فقد أعصابي التي تلفتْ من تقديم النصح إليه على طبق من ذهب. ها هو صبري بدأ ينفد. لم يستمع إلى كلماتي التي وصلتْ له إلى مرحلة التهديد. ها هي اللحظة التي قمتُ بها بضربه ولكمه.

ضربته بزيادة استهتاره الكامل الذي أصابه من حدة ضائقتنا، ومن الخطر الوشيك الذي يحيط بي بسببه. مع الوقت، صار أكثر اتزانًا وهدوءًا. فهو إنسان أناني، غير مبالي، بارد المشاعر. هذا الكاهن فاتر الهمة، لا يملك الحيلة على مواجهة الرب أو البشر أو حتى نفسه.

نفسي عفيفة على كتابة هذه الأمور وتذكرها، لكنني فعلتُ

ذلك غاية في إتمام روايتي. هذه طبيعة البشر اللوامة، لا يرون أخطاءهم بقدر اتقانهم رصد أخطائي. أين التسامح البشري الذي كان يسود مخيلتي؟ لربما وضعي ومكاني هما من جعلاني أُقدم على ارتكاب مثل هذه المعاصي!

كم كرهتُ نفسي حين تنازعتُ مع الكاهن على بقايا الطعام والصراع على البقاء على العيش! تضاربنا بشدة بصوت شَجِيّ منخفض، تلاكمنا واحتد الكلام فيما بيننا. كان كل منّا يفرغ جعبة حقده على الآخر.

أثناء تعاركنا، كانتِ الآلات المريخية تعد نفسها لتكون على أهبة الاستعداد وإعلان الحرب على البشر. كانتِ الآلات تزداد بازدياد الانبعاثات الحرارية، وتلك الأسطوانة التي تشبه علبة الحليب.. هذا كل ما رأيته هاربًا إلى الثقب من جديد.. هاربًا من وحشة التفكير وقلة التدبير.

كانتْ ضجة الآلات المريخية؛ التي لم أُرِد تسميتها بالكائنات، تصنع أصواتًا موسيقية خفية.. وكأنها تقرع طبول الحرب.

كانتْ تعمل الكائنات بانسجام وتناغم، تُحضر الطين مع قطع الألمنيوم لتُجهِّز مكائد للعنصر البشري.. في هذه اللحظة، ناقضتُ نفسي لأسميها بالكائنات لأنها فعلًا كانتْ تنعم بالحياة.

كان الكاهن الأناني يشاهد عبر الثقب كيف جلبتْ تلك الكائنات أول إنسان داخل الحفرة. أصابه الهلع الشديد الذي شاركته إياه؛ فلم أستطع أن أخفي ضيق حالي وخوفي.. كان يرى المشهد ويتراجع إلى الخوف والصراخ للبوح عمّا يجوب بداخله، ولكنني أسارع رغم شعوري بالقلق إلى إسكاته؛ فنحن على وميضٍ من حافة الموت. عجز هو عن الكلام وذُهلتُ أنا من شدة الظلام وبريق الآلات التي تخترق حلكة الليل.

خوفه وقلقه كان خير برهان لأن يتنازل لي عن الفتحة والشق المنصوب لمشاهدة ما يفعله المريخيون بالخارج. فرحتُ بشدة لامتلاكي برج المراقبة الذي يدور بمخيلتي أن يكون.

كانتِ النيران تتوهج بألوانها الخضراء والحمراء على نحو من شدة الغرابة والكآبة. لم أقدر على تفسير قدوم الوطاويط التي

كانتْ تحوم حول تلك الحفرة. على ما يبدو، أنّ هناك شيء سيئ سنرحب بقدومه. غشتِ النيران أطلال الحفرة، وبدأ المريخيون بحراسة المكان بشدة أكثر وتوزيع أنفسهم شمالًا، وسطًا، وجنوبًا استعدادًا لخطتهم.

جثمتُ في مكاني أرقُب الحفرة وآلة القتال. فللمرة الأولى شعرتُ أنّ ما وراء القلنسوة الحديدية تلك: مريخي بهيبة جندي. وما بين هذا وذاك، سمعتُ فجأة صراخ فجَّر مسامعي. شيء هبط بقوة شديدة من السماء المتوهجة، لا أستطيع إطلاق مُسمى عليه لغموضه.

بين سواد الليل وسط بريق النجوم، أدرك أنّ ذاك الشيء الغامض هو إنسان. إنسان بَدين بوجه وردي عجوز بهندام أنيق. خطر على بالي أنّه كان يجوب العالم برفاهية وضعه الاجتماعي. كان يرتدي بذله بغاية الارستقراطية بسلسلة الساعة وأزاره اللامعة.

حدقتُ النظر أكثر إلى ذاك الرجل إلّا أنه اختفى خلف تلك

الكومة وحَلّ الصمت قليلًا. وبعدها بدأ المريخيون بالصراخ سويًا. كنتُ أفقد عقلي من رهبة المشهد، نزلتُ متسللًا ووقفتُ بصعوبة، ثم وضعت يدي داخل أذني.. أسرعتُ كطفل متأخر عن مدرسته إلى غرفة الآنية. رفع الكاهن بصره، ووضع ذراعَيه فوق رأسه، وتابع المسير من خلفي.. كان يُقلِد خطواتي.

أصبحتِ الليالي توالي بعضها البعض، فلم أملك ورقة أو قلم أو حتى مذكِرة لتسجيل ما كان يحدث. على ما أذكر كنت أعد الليالي من قدوم الشمس وغروبها ليأتي القمر معلنًا أنّ يومًا جديدًا قد حلّ.

بات الكاهن شيئًا فشيئًا يخذلني؛ من قلة حيلته وعزيمته التي تتضاءل بتشاؤمه وطاقته السلبية. على ما أذكر، مكثتُ قرب الثقب خمس ليالي لا أقل ولا أكثر وأنا أراقب ما يفلعه المريخيون. ما لفتَ انتباهي أنهم قاموا بقتل فتى من أمام أعيني التي لم تكد تسطيع تحمل ما تراه. رأيتُ سفك الدماء مباشرةً؛ مما زاد الرعب أكثر. لم أجد الكلمات التي تصف رهبة المنظر.

كل ما أفكر فيه هو عدم المكوث هنا والهرب. الهرب والنجاة هو هدفي الحالي. لا أريد أن أكون لقمة مستساغة في شباك المريخيين. ولا أريد أن يتحول هذا المنزل إلى ثكنة عسكرية لديهم. فكرتُ بالهربِ مليًّا. وكان الحفر بيدي هو السبيل الوحيد للعيش. ولكن لا طاقة لي ولا حيلة لفعل ذلك. خفتُ كثيرًا إذ حفرتُ أن يسمعني المريخيون أو أن أكون في قبضتهم عند وصولهم لفوهة الحفرة.

كان ليلًا حالكًا لا صوت فيه. كان همس النجوم يتمتم في أذن القمر أنّ الغضب قادم. لماذا لم أعد أسمع حركة للآلات المريخية من حولي؟ هذا ما زادني ألمًا وضيقًا. وما أراح بالي هو أنني سمعتُ نباح كلب أخيرًا. هذا ما جعلني أرتاح وأنفُض غبار تعبي، وهذا الذي حصل في تلك الليلة، وهذا كل شيء.

الفصل الرابع
موت الكاهن

قد بزع نهار الليلة السادسة، وأنا أرقد بين نار الهرب ونار البقاء مع هذا الكاهن الأناني. بات الخصام يزداد بيننا شيئًا فشيئًا. البقاء بات للأقوى فينا. كان الكاهن يستغل غفوتي ليأكل من الطعام وحيدًا دون مشاركتي.

شرحتُ له مرارًا وتكرارًا أننا في مأزق حرج، وعلى كلانا الصبر وعدم اليأس. لكنه لم يستمع إلى كلامي. تشاجرنا على زجاجة الماء المتبقية في غرفة الآنية. لكنني لكمته بإنسانية باعتباره رجل دين كان يعظني.

جلستُ معه كطفلٍ صغير وفهمته الموقف الذي نرضخ له. أصر على التحدي ومعاندتي. قررتُ أن أضع خطة تنصف بقائنا في هذا المكان لمدة أطول. قسمتُ الطعام بيني وبينه كي يكفينا لمدة عشرة أيام وربما أكثر.

مع دقات الساعات، كنتُ أختلس إلى الثقب الذي يزودني بأخبار المريخيين من حولي. ولكني أسمع صوت الكاهن يأكل

ويصرخ، إنّه يأكل من طعامي وشرابي بعد أن أنهى وجبته وطعامه وشرابه:

- ماذا تفعل يا رجل؟

- أريد طعامًا وشرابًا.. لا أستطيع التحمل أكثر.

- اخفض صوتك.. سيسمعنا المريخيون.

- لا أريد.. إن لم تزودني بالطعام سأصرخ.

- أقول لك اخرس! سيسمعنا المريخيون.

- أيّها المريخيون.. ها نحن هنا.. تعالوا.. نحن جائعون..

- قلتُ لك أرجوك وبحق الرب أن تخرس! اسكت عن الكلام! (لكمته على فمه).

بدأ الكاهن يهذي من شدة الجوع، كرضيع تركته أمه في غرفة الخداج. ربما أصيب بالجنون! بدأ يُحدث نفسه بصوتٍ عالٍ ويُصرِح عن أفعال كان يقوم بها من قبل:

- أيّها الرب.. كنتُ أعظ الحمقى.. كان البشر أغبياء وحمقى..

لم يسمعوا موعظتي ورشدي.. الويل، الويل، ثم الويل للمدينة! الفقراء قد دفنوا في التراب والأغنياء ينعمون برغد العيش.. أنا كاهن غبي فاشل! أنا جائع.. أريد.. الطعاااام...

- يا رجل.. انصت.

- لماذا أيقظتني من نومي؟

- لم تكن نائمًا!

- أنا جائع.. أريد أن آكل وأشرب قبل أن أموت.. سأذهب إلى المطبخ.

- إياك والحركة؛ سيسمعنا المريخيون.. امكث هنا.

- لا أريد.. كلنا سنموت، لا أريد الموت جائعًا.

- قلتُ لك أن تبقى هنا ولا تتحرك.

- لا أريد.. سأذهب وأغتال المطبخ وآكل ما لذ وطاب.

- يا رجل! أتوسل إليك أن تصبر! سنهرب سويًّا.. تحلى بالصبر...

- فلتخرس أنت؛ فأنا جائع!!

هرول الكاهن مختالًا في مشيته نحو المطبخ. كان يتعمد أن يُعلِّي صوته، وكانتْ نيته أن يسمعنا الأعداء، أن نكون في قبضتهم وبسهولة. ما كاد يمشي مسافة كبيرة، إلى أن وجدتُ ساطورًا معلقًا على جدار غرفة الآنية. مسكتُ به بكل ما فيَّ من قوة، ومحقته من خلف رأسه. هبط أرضًا كطائر اللقلق، كُسرتْ أجنحته للطيران والتحليق نحو فريسته، الطعام.

بدأتُ بفقد أعصابي. حمدتُ الله على ما تبقى لي من نعمة العقل. بدأ الكاهن يتحرك وينتفضُ قليلًا إلى أن سالتْ دماؤه. هرعتُ إلى غرفة الفحم؛ على ما يبدو أنّ المريخي قد سمع أصواتنا وشجارنا.

ركضتُ مسرعًا إلى غرفة الفحم. اختبأتُ بين الحطب والوقود. طمستُ معالم وجهي ويداي بالفحم الأسود؛ كي لا يميزني المريخي من عتم الليل. قد أتى المريخي كدودة سوداء عملاقة يتمحصُ المنزل بعد سماع الصوت، قد لمس جثة الكاهن

وقضمها، مد يده أكثر نحو الغرف وقرقع جدار البيت. كل ما بوسعي هو الدعاء بشدة لإلهي أن أعيش وأن أبقى بأمان.

اقترب المريخي الشبيه بالدودة السوداء من حذائي، قد لمس طرفه فقبضتُ بأسناني على يدي. فليغرب عني هذا الكائن اللعين! التمس أصابعي إلى أن غرب:

- هل تُراه رحل عني؟

قررتُ أنّه رحل. على الفور أردتُ الهرب وعدم المكوث هنا؛ لا بُد من إيجاد بديلًا ومكانًا آخرًا. لم أملك مزيدًا من الدموع للبكاء على جثة الكاهن. اهترأتْ قطع البسكوت والجبن من خطوات المريخي الذي رحل من المنزل للذهاب إلى ثكنته العسكرية. ومن هنا، أتاني العزم والإصرار للهرب والمغادرة حالًا في الليلة الحادية عشر من بقائي هنا وعطشي الشديد وعدم حصولي على رشفة ماء إلى هذه اللحظة.

الفصل الخامس

السكون

في الليلة الثانية عشر، على حسب الأيام التي كنتُ أعُدها على أصابعي النحيلة، كانتْ تراودني الكوابيس وتنهال عليّ كهبات الريح. كانتْ جثة الكاهن تطرق باب عيناي وعقلي وكل تفكيري، كانتْ جثته تخنقني وتلتف حول رقبتي. كيف لي أن أفعل ذلك؟ لم أجد تفسيرًا لما كنتُ أشعر به.

وصولًا إلى هذا اليوم، شعرتُ أنني شيخٌ كاهلٌ لا يقدر على الحراك. لم أعد ذاك الشاب المليء بالحماس لتحقيق أهدافه. ارتديتُ ثوب البؤس والضيم. صرتُ إنسانًا بلا إنسانية رُغم أنّ أمواج المشاعر تتدفق داخل كياني إلى هذه اللحظة.

كانتْ ليلة هادئة جدًا يعتريها السكون القاتل. كنتُ أتعطش لقطرة مياه تنعش عطشي المميت. سار نظري هذا نحو تخيل كل شيء من أمامي ماء وطعام. كان الكاهن على حق حين أخبرني أنّ الموت بشبع خير من البقاء جائعًا.

في هذه اللحظة خصوصًا، نظرتُ إلى الثقب لترقب المريخيين

من أمامي. كانتِ الأعشاب حمراء على غير عادتها؛ فقد نثروا البذور الأقحوانية التي تسد جوعهم. ها وقد هطل المطر، مددتُ يداي لأرتشف من المطر بعلبة متسخة وجدتها في غرفة الفحم. كانتِ المياه مليئة بالأتربة ولكنني شربتها بنهمٍ شديد. وها قد عادتْ لي الحياة!

شعرتُ بالصمم لعدم سماعي للآلات القابضة التي يحكمها المريخيون. تحدثتُ مع نفسي قليلًا وجاءني الشك بأنني لا أسمع صوتي. قد أتى كلبٌ أسودٌ غاشمٌ ينهش من جثة الكاهن. وهجم أنفه ليشتم من الجهة الأخرى من الثقب الذي كنت أراقب منه:

- أنت كلبٌ مطيع.. لا تُخبر أحدًا عن وجودي.

ذهب الكلب وكان قلبي يرتجف. هل أصابني الصمم لهدوء المنطقة؟ حدقتُ أكثر، وجدتُ أنّ المكان فارغًا. قد رحل الأعداء من هنا! ركضتُ مسرعًا إلى الخارج:

- يا إلهي، قد رحلوا أخيرًا! سأنتهزُ فرصتي للهرب.

كانتِ الغربان تتشاجر فيما بينها، وتحوم حول العظام البشرية المتراكمة داخل الحفرة التي أنشأها الأعداء. قد أريد العودة مجددًا لإحضار الطعام معي كزاد في رحلتي، لكن المنزل انهار وسقط تمامًا. وكأنني الناجي الوحيد! راقبتُ من أمامي يمنة ويسرة، فلم أجد أثرًا لبقاء المريخيين في هذه المنطقة.

قد دمروا كل المنازل الفارهة. لم يعد له معالم الجمال والترف. كل السيارات محترقة، والأشجار مكسورة الأغصان. حتى أنّ ذاك القط النحيل لم تنجو مخالبه من عدائهم علينا. قط بشارب محروق و وبر أشعث مغبر. على أية حال، حان وقت الانطلاق والذهاب إلى مدينة «شين». وأخيرًا، هذا الهواء العليل الذي احتبستُ أنفاسي ليالٍ طوال لاستنشاقه!

الفصل السادس
مآل خمسة عشر يومًا

مشيتُ مسرعًا نحو مكان اللا مكان. كل ما يجوب تفكيري أن لا يراني المريخي المغتال. ذهل عقلي من رعب المشهد؛ هياكل بشرية هنا وهناك، عظام لا يعتريها اللحم أبدًا. على ما يبدو أن تلك جثة طفل بين أحضان والدته. ومن ذلك الفك، شعرتُ أنّ الهيكل لرجلٍ كان يحاول الاختباء.

قد أُبيد كل البشر من حولي. وحقيقةً أنا هو الناجي الوحيد مع الكلبان اللذان يركضان من أمامي. هذا اليوم أشعرني بانتهاء امبراطورية البشر وهيمنته على الأرض، شعرتُ بما كان يشعر به الحيوانات: بالأرنب الذي كان يركض ليذبحه المزارع، والخروف المنزوع جلده من الراعي، شعرتُ بالذبابة التي كنتُ أقضي عليها بحذائي.

كم هو صعب الوصول إلى حد النهاية، نهاية محتومة بموتٍ مُخزٍ. وصلتُ إلى تلة «بيوتني». تلة كان أهل الأرض ينهالون عليها بزيارتها ورعي الحشائش هنا. كانتِ الأعشاب تتراقص.

كنتُ أركض بقلة حيلتي وأنظر من خلفي متمنيًا أن لا يراني المريخي.

راودني الأمل بوصول حديقة مكسوة بأعشاب تلونت باللون الأحمر يزيد طولها عن مترين. كانتْ هذه بُشرى لي بالاختباء. تجولتُ بين أسراب الحديقة، وبحثتُ عن الطعام، تضورتُ جوعًا وعطشًا. قطفتُ الجزر النَيء، وبضع من الفطر الذي بالكاد أن يكون مسموم. ظننتُ أن يُسد جوعي إلّا أنّ شهيتي فُتحتْ للطعام أكثر فأكثر.

قطفتُ من العشب الأحمر الذي زرعه المريخيون. شعرتُ بالأغماء من حدة طعمه. كل الكائنات هنا ميتة، حتى أنني ميت ولكن ما زلتُ شبه أن أكون بشرًا حيًا. جلستُ على تلةٍ أبكي وبشدة؛ لفناء العنصر البشري من هذا المكان. أردتُ الذهاب إلى ذلك المنزل من أمامي؛ الذي قد احتله المريخيون من قبل.

طرقتُ الباب فلم أجد أحدًا، بل ولم أجد طعامًا. حدقتُ من النافذة فوجدتُ نهرًا لم أعرف اسمه بالتحديد. ركضتُ

نحوه وأغرقتُ نفسي بالشرب منه كي لا أعطش لاحقًا. كنتُ متسخًا للغاية! عزمتُ على نفسي إكمال المسير؛ هاربًا من الإبادة المريخية. حتمًا سيأتي دوري، ولكنني سأقاوم. وعلى ما تراءى لي، أنّ المريخيين سيصلون باريس قريبًا ويحققون الإبادة على كل ما يطلق عليه اسم: إنسان.

الفصل السابع
مقابلتي للرجل على تل بيوتني

من منّا كان يعلم أنني أيّها القارئ الذي يشارك مغامراتي وموتي وحياتي، العالم والكاتب الفيلسوفي يحارب الأيام لأجل العيش. صرتُ أنتقل من منزل لآخر بحثًا عن الأمان والطعام.

وما بين المنزل والآخر، مكثتُ في المنزل الكبير الذي قد أُبيد ساكنيه من الوحوش. تناولتُ الجبن العفن وفتحتُ علبًا من التونة والسردين، وابتعدتُ عن الخبز المقروض من أسنان الفئران. فرحتُ كثيرًا وكأنني حصلتُ على كنز مفقود!

بعد ليالٍ طوال، كان هذا أول يوم أحصل فيه على فراش. لألقي ثقل الأيام الماضية على كهل هذا السرير. غفوتُ ساعات وكأنّها كانتْ سنين بائسة. أيقظتني الدموع التي توجب عليّ أن أمسحها. فكرتُ بثلاث أشياء، وهم الذين شغلوا بالي وعقلي وضميري البشري.

كان الأول، موت الكاهن. بررتُ مقتله على يدي بأنّه حدث عابر ولا بُد أن يحصل في حالات الحرب والإبادة البشرية من

قبل المريخيين.

لم ينتابني تأنيب الضمير وعلى ما يبدو بدتْ مشاعري تفتُر نحوه؛ فهو جشع وأناني مخادع. تمنيتُ أن تزول صورته من أمام مخيلتي. ولكن، دون جدوى! كنتُ إنسانًا رحيمًا رفيقًا بالحيوانات، كيف استطعتُ فعل ذلك بالكاهن؟ لكنني سأعترف لك أيها القارئ لقصتي بذلك، ولك أن تجزم لماذا فعلت ذلك. هل يا ترى، ستحكم عليّ بعدالة أم تحاكمني بالاتهام طيلة عمري؟

كان الأمر الثاني الذي يقتل وجداني، هو انقطاع الأخبار عن زوجتي الغالية التي فعلًا اشتقتُ لها. من المؤكد أنّها رحلتْ مع أبناء العمومة بحثًا عن الأمان كما أفعل أنا للتو. فهذا حقهم. راجعتني الذكريات معها بالمنزل الذي بنيناه سويًا. قد بدأتْ أيام الخوالي تغزو أفكاري ولا أستطيع التوقف عن الذهاب بالتفكير نحوها.

أما عن الأمر الثالث، هو وجود المريخيين. هل يا ترى رحلوا

من هذا المكان بشكل كامل أم لديهم نوايا أخرى؟ لم أعد أفهمهم تمامًا؛ فكل ما يقومون به هو الإبادة البشرية ونهب كل ملامح الحياة.

أردتُ أن أغفو لهنية، إلّا أنّي سمعتُ صوتًا يُنحنحُ من بعيد. رأيتُ ظله الذي ملأ فراغ الحائط. كانتْ رائحته قبيحة وأقبحُ من رائحة الفحم التي ارتديها. دعوتُ بشدة أن لا يأكلني هذا الكائن الوحشي. دعوت إلهي بشدة أن لا يراني وأن لا يسرق فراشي وجيبي المليء بالبسكويت!

اقترب أكثر وصرخ أكثر:

- هل من أحدٍ هنا؟

- أنا هنا.. هل أنت إنسان؟ يا إلهي!

- أجل.. من أين أنت؟

- أنا من.. أنا من ضواحي لندن.

- لماذا يسودك الفحم؟

– وأنت لماذا ملطخٌ باللون الأسود؟ تعال واجلس قربي وحدثني.. لحظة، دعني أحضر لك الماء والطعام.. هنا الكثير من الطعام.. الطعام العفِن.. ولكن لا يهم.

– شكرًا لك.. صوتك مسموع وكأنني أعرفه.

– خذ وامسح عن وجهك ودعني أراك.

– أووه! قد عرفتك، أنت الذي استضفتني في منزلك.. والتقيتُ بك بالحديقة.

– يا للحظ! ويا لأعجوبة القدر! أجل، عرفتك، أنت المدفعي.

– كيف وصلت إلى هنا؟ قد ظننتُ أنني الناجي الوحيد.

– وأنا ظننتُ كذلك.. ألمحتَ أيّ من المريخيين من أمامك؟ أين كنت؟ وأين اختبأت؟

– يا رجل.. قد قضى المريخيون علينا نحن البشر.. البشر على نحو من الزوال.. قريبًا وحتمًا... لكنني رجل بعزيمة وإرادة

قوية.. ذهبتُ إلى مكان للاختباء حيث يكرهه الجميع؛ هرعتُ إلى العيش تحت الأرض. تحت المجاري الصحية...وأنت؟

– أنا كنت أعيش وأتنفس تحت أنقاض منزل لحفرة عسكرية تتبع العساكر المريخية.

– أنا أريد البقاء والعيش والانتقام منهم جميعًا. (قالها واضعًا يديه على كتفي).

– جميل.. وماذا بعد؟ أنت تمنحني الأمل حقيقةً.

– انظر إلى الشيف اللامع الذي أرفعه. أنا كنتُ جنديًا يحمي هذت البلاد، ولكن معداتنا غير جاهزة لمواجهتهم ومعرفة حقيقتهم. وأنت كاتب فيلسوفي. بإمكاننا أنا وأنت القضاء عليهم.

– أتمنى ذلك! لكن كيف؟

– نحن البشر، أي أنا وأنت، يجب أن نفكر مليًّا بالبقاء منتصرين على البقعة المتبقية من هذه الأرض. تعال والحقني.

هناك المتحف المليء بالكتب، وهناك منجم الفحم، وهناك المطعم وما تبقى من الطحين والبذور.

- أجل.. وما بالهم؟

- سنحفر أنفاقًا تحت الأرض ونعيش فيها. لن يخطر للمريخي أن يغزونا، ولن يستطيع ذلك لضخامة حجمه.

- أتقصد...؟

- دعني أكمل كلامي..

- أعتذر عن المقاطعة، ولكن كلامك يُبهرني.

- سنبني دولة جديدة أنا وأنت، سنقسم لندن لي ولك.. أو ما تبقى من لندن. خذ الشمال ولي الجنوب.

- أحقًا ما تقول؟

- أجل.. نحن في حرب، سنغزو آلياتهم ليجن جنونهم.. آلياتهم هي مصدر قوتهم المتناهية.

- وكيف لنا ذلك أيها العبقري؟

– سؤال جميل.. قد خططتُ لذلك، وأخبرتك مرارًا وتكرارًا أنني عسكري وعلى وعي تام بما أقول وأفعل.

– وما هي الخطة؟

– بدايةً، سنحفر باستخدام المجرفتين أنفاقًا لنرقد بها. سنحضر الكتب من المكتبة هناك، ولا أقصد الروايات والشعر منها.

– جميل.. وماذا بعد؟

– أنا أتوقع، بل أجزم، أنّ الإنسان سيرضخ للمريخي ويصبح عبدًا له كي يتنفس ويبقى على قيد الحياة.

– أسيقاتل البشرُ البشرَ؟ أسنبيد بعضنا البعض؟ يا إلهي!

– انظر إلى حجرة النمل حين يدعسها حذاء من أحذية البشر. ماذا يحدث؟

– ينفرون ويتحدون لصغر حجمهم.

– أجل وهكذا سنكون نحن، النمل تحت الأرض، ولن

يقدر المريخي علينا. سينقسم البشر إلى أصناف وأحزاب معادية للإنسانية.

– بدأتُ أفهمك. سنجلب إلى صفوفنا البشر المخلصين؛ أهل العلم، النساء المربيات غير الكسولات، الرجال المنتجون غير الاتكاليون.

– تمامًا.. بالمساء سنبدأ بالحفر.

– إنك أعقل المجانين. أتفق معك وأنا أحذو خطواتك واحدة تلو الأخرى. سنبدأ اليوم بالحفر.

– خذ هذا السيجار مع العصير، سأذهب إلى السطح للمراقبة.

– سآتي معك.

– أتشعر بالخوف؟

– حقيقةً لا، ولكنني سعيد بوجودك كإنسان ذكي متفائل معي، وأنت كريم بأخلاقك.

قد شعرتُ بالاطمئنان والراحة باقتراب الرجل والعيش معي هنا. كانتْ أفكاره جنونية، ولكن بعيدة عن المستحيل. عشنا سويًّا نتبادل الأحاديث ونحفر ونتسامر عشية كرجال.

بدا الخوف ينزاح من قلبي قليلًا. علّمني لعبة البوكر، غلبني ثم غلبته ثلاث مرات لإتقاني بقوانين اللعبة. فعلّمني الشطرنج ولعبة الورق. كان رجلًا حماسيًا يبثّ في روحي الاطمئنان والعزيمة. وبدأنا بالحفر لتنفيذ خطتنا بحذر.

كنّا نراقب الأصوات، ونتوقف عن الحفر كلما تهيأ لنا أنّه مريخي.

كانتِ الأفكار تبدو لي أنّ هذا الرجل حالم في تحقيق أهدافه. كيف لنا أن نواجه هذه الوحوش العارمة وآلاتهم الباسقة؟ ذهبتُ إلى السطح أرتقب بزوغ القمر ناظرًا إلى يداي المقرحتَين من شدة الحفر. رميتُ سيجاري من أعلى باشمئزاز، وفكرتُ بعقلانيةٍ أن أعود إلى لندن مهما كلفني الأمر.

الفصل الثامن
لندن تودع الحياة

حزمتُ أمتعتي وقليلًا من الطعام، وودعتُ الرجل الحالم بامتلاك كافة مدينة لندن. لم يُجدي حفر الأنفاق نفعًا. فصرتُ أفقد صحتي، شعرتُ بالمرض الذي عجزتُ تشخيصه. صرتُ أمشي إلى أن وصلتُ ساوث كنسيجتون. كانتِ المدينة مسودة اللون، وكأنّه ليل في وضح النهار.

كل المباني مهدمة، لا مدارس، جامعات، أو حتى كنيسة نجت من فعل المريخيين. كانتْ مدينة لندن تقف ساكتةً ليس بيدها حيلة فيما فعله الغزاة الوحوش. بلم ارى الوان لم أرَ ألوان العشب الأخضر أو زقزقة العصافير، حتى أنّ الشمس تكحلتْ بمساحيق الدمار الشامل.

كنتُ أمشي متحسرًا على ما حلّ بأعظم مدينة. هناك جثث لعائلة ينهشها الكلاب، على ما يبدو أنهم قد ماتوا منذ أيام. قد تسابق الكلاب على نهشها، حتى أنهم خافوا أن أحظى معهم بحصة من اللحم البشري. كنتُ أتجول برفقة دموعي التي لم

تخن خداي، إلى أن هجم صوت بـ «أووه لاا أووه لا لا لا!!»، صوتٌ موحشٌ له صدى عارم في رجاء المنطقة.

على ما يبدو أنّه كان هناك لصًا هاربًا حاملًا معه الذهب. على جوانب الطريق، حُلي ومجوهرات من الذهب والألماس التي لم أهتم بها. المدينة لا تضج بالموسيقى كما كانت بالسابق؛ فالنعيق والغربان هما السائدان في الأرجاء.

كان الصوت يتداخل ويقترب أكثر «أووه لاا لا!». لم أخف. للمرة الأولى، نزعتُ الخوف من قعر قلبي. اقتربتُ أكثر لمعرفة مصدر هذا الصوت:

- يا إلهي إنه المريخي! إنه يحتضر.. إنه يموت.

- أووه لااا لاا.

- مُت أيها اللعين.

تنحيتُ بخطواتي إلى الخلف، لأراقب موت المريخيين. بَرد بركان قلبي، وعم الهدوء والسعادة لرؤيتهم يموتون. ها هو

المريخي الأول قد مات، تلاه الثاني، والثالث، إلى أن ماتوا جميعًا مترنحين فوق آلاتهم الغاضبة. أنساني موتهم التعب الشديد الذي حلّ بي.

راقبتُ موتهم أكثر داخل حفرتهم، يودعون الأرض التي ظنّوا امتلاكها والسيطرة على ما تبقى منها من بشر. كيف ماتوا؟ أهي معجزة ربانية أم دعوة استجابت لها السماء؟ لأول مرة أرفع يدي إلى السماء لأشكر ربي والصراخ:

- حمدًا لك يا إلهي! وأخيرًا ماتوا!!

ماتوا من أصغر مخلوق على وجه الأرض؛ ماتوا بفعل البكتيريا التي انتشرتْ في بقاع الأرض. فالتعفن الذي أحدثته هذه البكتيريا كفيل لقتلهم. بكتيريا لا تُرى بالعين المجردة أمحقتْ أضخم الكائنات؛ فهم لا يمتلكون المناعة الكافية لمقاومتها. يا لها من معجزة ربانية تحققتْ بها العدالة!

فرحتُ للغاية لعودتي هنا! سنُعمر المكان من جديد، سيعود ما تبقى من البشر: البشر الراحلون عبر البحر حتمًا سيعودون.

سنعود من نقطة الصفر. هنا لا نظام ولا قانون؛ فكلهم ميتون. سأنتظر عودة البشر، وأن تعود الحياة. الحياة مع زوجتي، ويساعد كل منا الآخر.

سترجع لندن كما كانتْ، سيعود الطفل إلى مقعد دراجته، وتدق أجراس الكنيسة للمصلين، ستحوم العصافير لتمحق بؤس الغربان. الأرض للبشر، الأرض لكل من يحبها ويعشق ترابها. فمرحبًا بالحياة الجديدة!

الفصل التاسع
الأطلال

حلمتُ بالسعادة التي نلتها عند موت المريخيين. كنتُ أنا أول شخص تنبأ ورأى حقيقة موت المريخيين. سارعتُ بالمشي أكثر فأكثر لأتفقد منزلي الذي غادرته منذ نشوب هذه الحرب التي دامتْ أكثر من أسبوعين.

غشيتُ على أرضٍ وفقدتُ الوعي كما أخبرتني عائلة يرأسها كهل. كنتُ أهذي بما أراه. وهم يتناولون الأخبار مني. ذاعتِ الأخبار عناوينها «موت المريخيين» «نجاة لندن».

استقبلتني العائلة خير استقبال من ترحيب وضيافة. وعلى ما يبدو، أننا أصبحنا أصدقاء. ودعتهم وجمعتُ قوتي لتفقد منزلي. لأول مرة أسمع صوت أجراس الكنائس التي حرمنا منها. كانتِ الشاحنات الفرنسية تنهال لإغاثة مدينة لندن بالطحين والدواء وكل ما يحتاجه البريطانيون.

عبر غابات الصنوبر التي سجلتُ على أرضها ذكرياتي، كدتُ أصل إلى منزلي. يا إلهي، قد دمروه على عقبة أبيه! لم تعد النوافذ

مشرعة بالستائر التي أهدتني إياها والدتي، ولم يعد الباب ملونًا بالذهبي يرفرف كما صنعه والدي لي احتفالًا بمنزلي الجديد.

رائحة العفن تضج بزوايا المنزل، وأما عن الحديقة فلا حياة فيها سوى صرير النمل الذي قرّر أن يبدأ حياة جديدة، وفعلًا كان على حق.

صعدتُ إلى مكتبي، قد تركتُ أوراقي وقلمي الذي جف حبره من الخوف. مسكتُ الورقة وقرأتُ ما كتبتُ من أفكارٍ أدبية علمية لتطور الحياة والتمدن فيها. كانتِ الجملة الأخيرة التي خطتها أناملي «خلال مائتي سنة، ربما سنتوقع...». هنا انتهتِ الجملة فجأة، لأدرك الآن عدم إكمالي إياها؛ لأنّي تذكرتُ مرور شهرٍ على هذه اللحظة عند سماعي لقصة بائع الصحف الذي تحدث عن «البشر القادمون من المريخ».

ارتكزتُ على الحائط، فقررتُ النزول إلى الطابق الأرضي باحثًا عن ما تبقى من طعام ومتفقدًا أثر الذكريات. سمعتُ صوتًا أرجفني. ها قد حدث أمر عجيب؛ فالصوت يقول لي:

«لا جدوى، منزلك مهجور. لم يأتي إنسان إلى هذا المكان طيلة الأيام العشرة. لا جدوى لأن تبقى هنا، ارحم نفسك ولا تعذبها.. لم ينجو أحد غيرك!».

لم أستطع أن أمسك قلبي من الذعر الذي حلّ بي. استدرتُ خلفي إذ وجدتُ زوجتي العزيزة وأبناء العم يدمعون لرؤيتي. رحبتُ بهم وصرختُ مقبلًا نحوهم. فسلمتُ على أبناء عمي تحية الرجال. فقالتْ لي زوجتي:

- ها قد جئتَ.. كنتُ أعلم.. كنتُ أعلم.

خاتمة

لم يعد كوكب الأرض هو الملاذ الآمن ليعيش به الإنسان. ولن يكون هو المستقبل الوحيد ليحقق عليه مخططاته وأهدافه. علينا أن نتعلم دروسًا من غزو المريخيين لنا، وأننا أجرينا أبحاثًا وفحوصاتٍ على أجسادهم الوحشية فهذا وحده غير كافيًا.

قد سبق أن هاجم المريخيون كوكب الزهرة؛ فيمتلكون خبرة بالاحتلال والتخريب والدمار. وأما عن السلام، فلن يهنأ أحدٌ به. تجوب أسئلة عديدة في ذهنك أيها القارئ عن روايتي الأولى والثانية لحرب العوالم. فالإجابات غير محددة بعد. فما العقل البشري إلا كتلة أفكار ممزوجة بالخيال والرعب والبحث عن الاستقرار.

قد ننجو اليوم بأعجوبة، وغدًا لا نعلم من سيبقى فينا على قيد الحياة التي بالكاد تكون حياة. فتلك الفترة وطئتْ لي شعور بعدم الأمان، وما أبشعه من شعور وحشي وهمجي! فليبقَ

الإنسان محافظًا على عواطفه بعيدًا عن الوحشية وعدم الرأفة.

كتبتُ كل ما رأيته من أشباح الماضي. فقيمة الحياة باهظة. أمسكتُ بيد زوجتي لنتمشى أكثر تحت ضوء القمر الهادئ بعد أن حسبنا أنفسنا أننا من عداد الموتى. فما أجملها من حياة تلتف حولها الضحكات من لعب الأطفال بعد أن أصبحتْ آلة المريخيين مزلاجًا لديهم!

المؤلف

هربرت جورج ويلز:

يطلق عليه الاب الروحي لأدب الخيال العلمي.فهو أديب ومفكر انجليزي.اهتم بانتاج كل اصناف الادب من الروايات والقصص القصيرة.اهتم ويلز بالاعمال السياسية والتاريخية والاجتماعية ولكن الروايات العلمية الخيالية هي التي ذاع صيتها من حبر قلمه الى يومنا هذا.ترشحت أعماله لجائزة نوبل في الادب اربع مرات.ولكن،بنشوب الحرب العالمية الثانية أصبح اكثر تشاؤماً وبؤساً إزاء الارض والبشر.ما زال اسمه يبرق في الادب العالمي الا ان ناهزته المنية عام ١٩٤٦